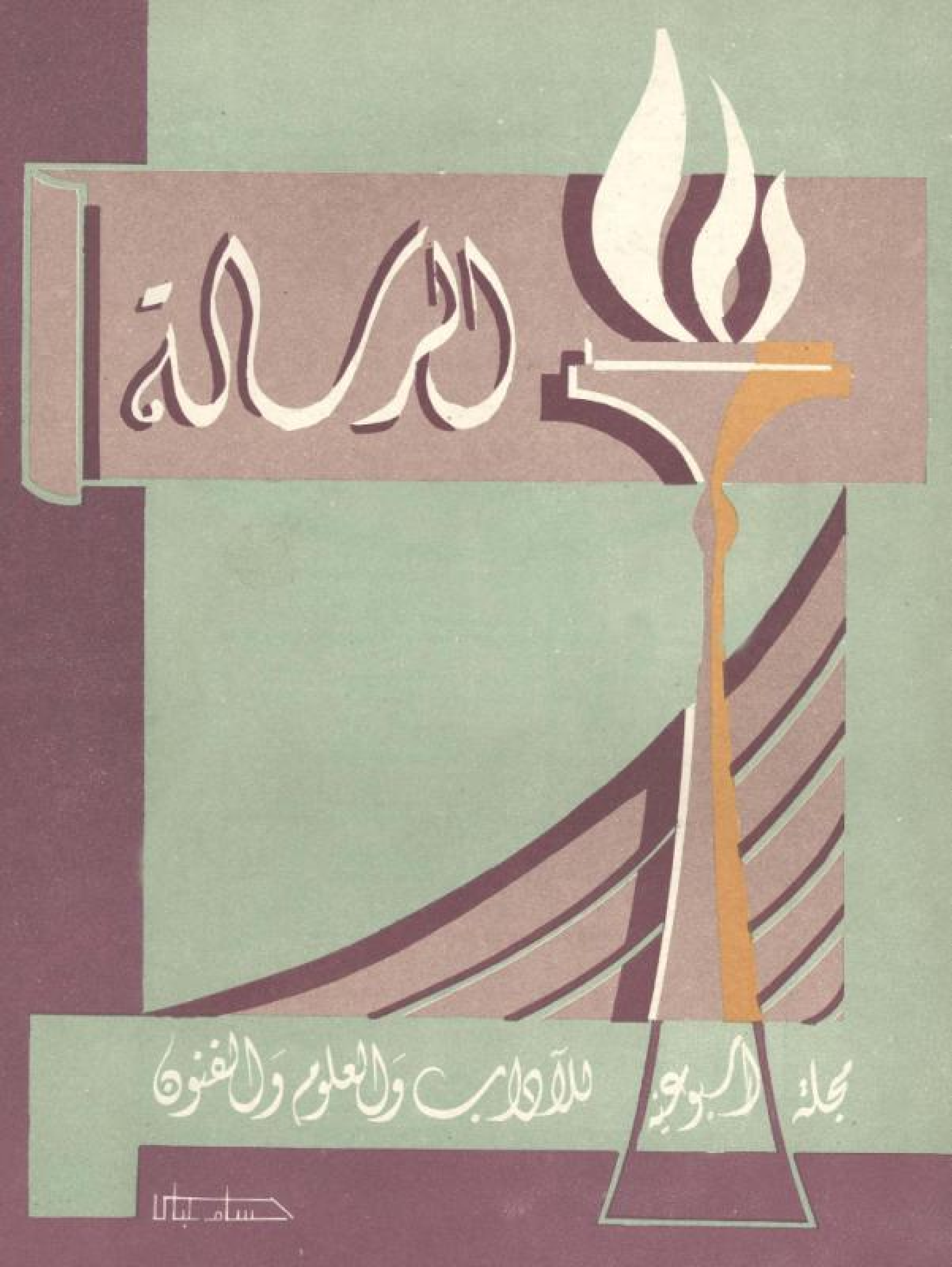

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

في هذا العدد

كيف مهد الأدب للثورة	: بقلم احمد حسن الزيات	٢
بحوث لغوية تاريخية	: بقلم حامد عبد القادر	٥
نظرات - حول مؤتمر بغداد - ٢ -	: للدكتور احمد كمال زكي	٩
المجتمع الاشتراكي والتفرقة العنصرية - ٤ -	: للدكتور عبد العزيز كامل	١٣
الحلة السيراء لابن الأبار	: بقلم ابراهيم الابيارى	١٦
الإشهاد على المهادنات والمعاهدات في تاريخ العرب والاسلام	: بقلم محمد عبد الغنى حسن	١٨
ذكرى ابراهيم ناجى « قصيدة »	: للشاعر ابو القاسم عثمان	٢٠
الشورى وتطبيقاتها في الاسلام	: بقلم فتحى عثمان	٢١
تفسيرات خاطئة لنصوص القرآن	: للدكتور جودة هلال	٢٤
أين هدى الاسلام في تقاليدنا ؟	: بقلم محمد عبد الله السمان	٢٧
موطن الأصفياء « قصيدة »	: للشاعر قاسم مظهر	٢٩
حول الفسيل «مسرحية» - ٧ -	: بقلم على احمد باكثير	٣٠
موكب الربيع « قصيدة »	: للشاعر على الجندى	٣٣
الى شاعرة يابانية « قصيدة »	: للشاعر محمد الجبار	٣٩
في ندوة فلسطين	: بقلم تحسين عبد الحى	٤٠
تعقيبات	: بقلم عباس خضر	٤٣
حول الأدب في أسبوع	: بقلم عبده بدوى	٤٦
وحى الربيع « قصيدة »	: للشاعر يسن الفيل	٤٩
خيال الظل ومرحلة المسرح التعبيرى	: بقلم جلال العشرى	٥٠
السلطان والشيطان	: بقلم عبد الصبور مرزوق	٥٤
كتب جديدة	: تقديم احمدالصادق عبدالصمد	٥٧
قراءات في المجلات العربية	: تقديم محمد العزانى	٥٩
أصوات على الشجر « قصة »	: بقلم نجيبة العسال	٦١
مع فنان	: تقديم فاروق حافظ عمر	٦٤

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

كيف مهد الأدب للثورة

بقلم : أحمد حسن الزيات

حضارة الانسان منذ وعى ثورة مستمرة ، اذا خمدت فى مكان او هدأت فى آخر ، فانها تظل مشبوبة فى اكثر بقاع الأرض ، بين القوة والضعف ، وبين الكمال والنقص ، وبين الجدة والقدم ، وبين الحياة والطبيعة . ففى ظهور كل دين ثورة ، وفى قيام كل دولة ثورة ، وفى نشوء كل مذهب ثورة ، وفى طموح كل نفس ثورة . ومظهر هذه الثورات جميعا فى شتى نواحيها ، وفى مختلف دواعيها هو الأدب . فحيثما نجد الأدب نجد الوعى كثيرا أو قليلا على قدره . وحيثما نجد الوعى نجد التقدم سريعا او بطيئا على حسبه .

وفى ثلاثة ارباع القرن الماضى كان الأدب العربى خامدا لا روح فيه ، وكان الشعب المصرى تبعا لذلك غافلا لا وعى له . كان فى عهد محمد على طماح « قولة » الذى جلس بالخديعة على عرش صلاح الدين فى قلعة القاهرة اشبه بالدواب تساق بالكرباج فتسير ، وتسخر للانتاج فتذعن ، وتجازى بالحرمان فترضى . ذلك لأن ذلك الجندى التركى الأمى الحاكم كان قد قطع ما بين قلبها والدين ، وما بين نفسها والأدب وما بين عقلها والعلم . ولم يكن همه الا اعداد الجيش ليملك ، والا جباية المال ليسود . وظل الشعب فى بلادة الحيوان الصابر حتى تفتحت فى الربع الأخير من ذلك القرن بواكير الوعى فى اذهان النابغين من رجال الدين فى الأزهر ، والعائدين من طلاب العلم فى فرنسا . فشعروا اول الناس بالأغشية التى تحجب الأبصار ، وبالعلل التى تخدر المشاعر ، فاشعلوا بعض الضوء فى الظلام الحالك ، وارسلوا بعض الصوت فى السبات العميق . وكان من اثر ما كتب رفاعة الطهطاوى ، وعلى مبارك ، وعبد الله فكرى ، وجمال الدين ، ومحمد عبده ، وعبدالله النديم ، تلك الهزة النفسية التى ادركت بعض قادة الجيش فنهضوا يحاولون تحطيم ذلك النير الثقيل الذى بهظ كواهل الشعب

فرزح تحته ولم ينهض • ولكن ذلك النير او الناف كان فرعا غليظا من تلك الشجرة العلوية الملعونة صفحة الانجليز بالحديد واللعب فلم يستطع عرابى تحطيم توفيق •

خمدت اذن ثورة الجيش الأولى لأن الوعى الشعبى كان من الضعف بحيث لاينهض فضلا عن أن يثور • وظلت ثورة الأدب متقدة تبدد الظلام وتوقظ النيام وتهيء العدة • فاستمر محمد عبده وهو فى منفاه يكتب فى مجلة « ثمرات الفنون » ببيروت ، ثم فى مجلة « العروة الوثقى » بباريس ، فصولا يعالج فيها تاخر المسلمين واسبابه بالمنطق القوى والأسلوب البليغ • واستانف عبد الله النديم جهاده الأدبى فى مجلته «الأستاذ» باسلوبه العصبى اللاذع •

ثم امتدت السنة المستعمرين والمبشرين بالطعن فى مصر والشرق والاسلام فنهض جمال الدين لأرنست رينان ، ومحمد عبده لهانوتو ، وقاسم أمين لدوق داركور ، فدافعوا بالحجج الملزمة ما لفقوا من أباطيل وما شوهوا من حقائق • ثم حملتهم تلك الحملة الاستعمارية على النظر فى تطهير الشرق من هذه المآخذ بتصحيح الزائف ، وتقويم المعوج ، فمضى كل مصلح يتحرى وجوه الاصلاح والتحرير ، فى الوطن ، أو فى الفكر ، أو فى الأدب ، أو فى القضاء ، أو فى التعليم ، على حسب استعداد عقله وطبيعة نفسه • وكانت الأهرام والمؤيد ميدانا لهذه الثورة الأدبية على فساد الأخلاق وسوء العادات وانتشار الأمية وشيوع الجهالة وخمود الحواس ، فظهر فى تلك الحقبة كتاب « الاسلام والنصرانية» للامام ، وكتابا « تحرير المراة » و « اسباب ونتائج » لقاسم •• ثم نقل احمد فتحى زغلول فى سنة ١٨٩٩ كتاب « سر تقدم الانجليز السكسونيين » للكاتب الاجتماعى الفرنسى « ادمون ديمولان » فصادف هذا الكتاب القيم حاجة فى نفوس الأدباء فقراوه ودرسوه ووازنوا بين مثله الأعلى ومثلنا الأدنى فى التربية والأخلاق والثقافة والحضارة والنظام ، فتمردت العقول على الجمود ، وهفت النفوس الى الرقى ، وتحركت الهمم للاصلاح • وهبت طائفة من الكتاب الثائرين يبحثون مشكلات الأمة ويطبون لأدواء المجتمع ، فظهر فى سنة ١٩٠٢ كتاب « حاضر المصريين وسر تاخرهم » لمحمد عمر ، عالج فى اقسامه الثلاثة رذائل الأغنياء ومعايب الأوساط ونقائص الفقراء بلسان صادق وبيان صريح • وفى سنة ١٩٠٧ انشا محمد المويلحى كتابه البليغ « حديث عيسى بن هشام » وصف فيه الأخلاق المصرية والمفاسد الاجتماعية أبلغ الوصف واصدقه ، وعلى منواله نسج حافظ ابراهيم فى كتابه « ليالى سطيح » • ثم نشر مصطفى لطفى المنفلوطى نظراته الاجتماعية تباعا فى المؤيد تصف الآلام وتمثل العيوب • وكان مصطفى كامل فى تلك الفترة نفسها يرفع « اللواء » ويلهب الشعور الوطنى بخطبه ، ويكافح النفوذ الأجنبى بمقالاته • وانضوى الى لوائه الشاعر حافظ ابراهيم فنظم فى قصائده الغر امانى البلاد ، وضرب على اوتار القلوب أناشيد الجهاد • ثم انطوى بالموت لواء مصطفى ، وخفت بالمرض صوت حافظ ، فاعتلى سعد المنبر ، وحمل شوقى القيثار ، ومثل مصطفى وسعد كل خطيب ، ومثل حافظ وشوقى كل شاعر • ومن

هذه الروح الالهية المنبثة فى الخطب والمقالات والقصائد والكتب انبعثت الحياة فى الجذوع الميتة ، وتدفقت الحساسية فى الأجساد الهامدة ، وتالف من الآراء الخاصة راى عام ، وتكون من الطوائف المتفرقة شعب مجتمع • والمستذل يانف حين يحس ، والمستغل يغضب حين يعى • والقطيع من البقر او الغنم انما يظل قطيعا مادام لا يعرف الا العشب ياكله والا الراعى يطيعه ، فاذا ما ادرك يوما أن راعيه ياكل لحمه ويشرب لبنه ويستغل جهده ، وليس له عليه من فضل الا أن برأسه حيلة هى أضيق من قواه ، وان فى يده عصا هى أضعف من قوته ، لم يعد قطيعا وانما يصبح أمة •

والأمة المصرية شعرت أخيرا بفضل ما وخزتها الاقلام ونبهتها الآلام ان لها وطنا يجب أن يستقل ، وأن لها عليه سلطانا يجب أن يسود ، وان لها عدوا ثقيلا يجثم منذ سبع وثلاثين سنة على صدرها ، يستبد بأمرها ، ويستقل بخيرها ، فتعمل ولا تريد ، وتنتج ولا تستفيد ، ثارت فى وجه المحتل ثورتها الثانية سنة ١٩١٩ وكادت تظفر بحقها الطبيعى فى الحرية والاستقلال ، لولا أن ابتلاها الله بزعماء من طلاب المال والحكم فاضلوها السبيل ، وأوردوها السراب ، وعوقوها عن الغاية • وكان الوعى الأدبى والوعى القومى قد قاربا الادراك والنضج ، فنشبت فى العشرين سنة الأخيرة معركة شعواء بين المادية والروحيـة ، بين الأنانية والغيرية ، بين الاحتلال الباطل والاستقلال الحق ، بين الطغيان الفاجر والدستور الذليل ، بين الثراء الفاحش والفقر المـدقع ، بين الترف المسرف والحرمان المهلك • وكان الملك والحاشـية والاقطاعيـون والسياسيون والانجليز فى جانب ، والدين والأدب والأخلاق والقيم والمثل فى جانب • والغلبة انما تكون أولا وظاهرا للشيطان لتحكم الغرائز وتسلط الشهوات • فطغى الفساد وتوقح البغى وحسب الناس أن الليل سرمد وأن الذل خلود • « حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » • نعم جاء نصر الله فاصطفى لاعلانه رهطا من رجال الجيش ، لأن رجال الجيش يتميزون على رجال السياسة ، بأن صناعتهم الدفاع ، ووسيلتهم القوة ، وطبيعتهم النظام ، وخلقهم الطاعة ، وعيشهم التقشف ، ومبداهم التضحية • نعم جاء نصر الله فبات الشعب ذات ليلة من ليالى يوليو وهو مظلوم محروم ، ثم أصبح فاذا هو صاحب العرش وصاحب الجيش وصاحب الحكم وصاحب الثروة • نام وهو لا شئ ، ثم استيقظ وهو كل شئ ! وكان الأدب هو المهيئ لذلك كله • كان الحس فى خمود الشعب لأنه غذاء القلب • وكان الهدى فى ضلال الشعب لأنه شعاع الروح •

كان الأدب فى الربع الأخير من القرن الماضى ناشئا ضعيفا فثار الجيش وحده مع عرابى • وكان فى الربع الأول من القرن الحاضر بالغا فتيا فثار الشعب وحده مع سعد • ثم كان فى الربع الثانى منه قويا جارفا فثار الجيش والشعب جميعا مع جمال عبد الناصر •

فاذا كان من اعداد الجيش للجهاد أن تكون له موسيقى ، فان من اعداد الشعب للحياة أن يكون له أدب • واذا كانت مهمة الموسيقى ان تنشط وتنعش ، فان مهمة الأدب الحر أن يسوس ويقود •

« أحمد حسن الزيات »

بحوث لغوية تاريخية

بقلم : حامد عبد القادر

- ١١ -

بينا فى مقال سابق أن التوراة العبرية التى بين أيدينا تفرق بين الأخوين فتحابى أحدهما وتنحاز اليه ، ولا تأبه بالآخر بل تكاد تتحامل عليه . وان هذه لبدعة سيئة قد توحى الى الآباء أن يفرقوا بين الأبناء ، فيفضلوا بعضهم على بعض فى المعاملة أيا كان نوعها . وليس هذا من العدل فى شيء ، وان ديننا الحنيف ليأمرنا بأن نلتزم جانب العدل والمساواة فى معاملة أبنائنا وبناتنا كى ينشئوا متحابين متعاطفين .

ونستفتى القرآن الكريم فى علاقة ابراهيم باسماعيل عليهما السلام فنجده يقول على لسان ابراهيم عليه السلام : ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون . ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله شيء فى الأرض ولا فى السماء . الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربى لسميع الدعاء . رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء - ابراهيم : ٣٦ - ٣٨ .

ومن عجب أن هذه التوراة تنحاز الى جانب الابن الأصغر ولما يزل فى عالم الغيب لم يولد بعد ، فتجعله قبل أن يولد ولى العهد والوارث الوحيد الذى ينتقل اليه الوعد بامتلاك الأرض الموعودة (تكوين ١٧ : ١٨ - ١٩ ، ٢١) .

وبعد فلماذا تحرم تلك التوراة اسماعيل وذريته من ولاية العهد والوعد بامتلاك الأرض الموعودة وتقصرهما على أخيه الأصغر اسحق وذريته ، ألم تقرر التوراة أن اسماعيل من ذرية ابراهيم (تكوين ٢١ : ١٢ - ١٣) ؟ وألم تنص فى عدة مواضع ذكرناها من قبل على أن ذرية ابراهيم ستئول اليهم ملكية أرض الميعاد ؟ وألا يقضى التفكير المنطقى السليم بأن يكون اسماعيل وذريته ممن تئول اليهم ملكية تلك الأرض ؟ .

الحق أن التوراة بين أيدينا قد جاوزت حدود التفكير المنطقى السليم حين أضفت على اسحاق وذريته عناية ورعاية لم تضفهما على اسماعيل وذريته .

وهذه التوراة تذر الرماد فى العيون حين تحاول أن ترضى اسماعيل وذريته فتقول على لسان ملاك الرب لأمه هاجر ما يفيد أن الرب سوف يجعل نسلها من الكثرة بحيث لا يمكن احصاؤهم ، وأنها ستلد ابنا يكون انسانا وحشيا يده على كل واحد ويد كل واحد عليه (تكوين ١٦ : ١٠ - ١٢) وتقول فى موضع آخر على لسان الرب ما يفيد أن الله تعالى سيستمع الى ابراهيم فيبارك على اسماعيل ويكثر من نسله ويجعله أبا لاثنى عشر رئيسا ، ويجعله أمة عظيمة (تكوين ١٧ - ٢٠) .

وتمضى التوراة فى سرد قصة اسماعيل فلا تروى منها الا أنه نما فى أرض غربته برية فاران ، وأن أمه اختارت له زوجة من أرض مصر (تكوين ٢٥ : ٢٠ - ٢١) ، وأن هذه الزوجة أنجبت اثنى عشر ولدا ذكرا ، وأن اسماعيل قد قضى نحبه بعد أن عمر وعاش مئة وسبعا وثلاثين سنة (تكوين ٢٥ : ١٢ - ١٨) .

بعد ذلك لا نسمع شيئا يعتد به عن اسماعيل . ومن ثم نرى أن التوراة لم تكتف بمحاباة اسحاق ،

بل انها تلقى ظلالا كثيفة على حياة اسماعيل كي تحجبها عن أعين الناس ، وتحول بينهم وبين التفكير فيها ، وليخلو لها الجو فتنطلق الى التحدث عن اسحق أبي يعقوب ثم عن يعقوب وهو اسرائيل الذي ينتمي اليه بنو اسرائيل ، والحديث عن بني اسرائيل هو الغرض الأول من تاليف التوراة العبرية التي بين أيدينا ٠

اين هذا التحيز البارز المفتعل من تكريم الله تعالى لاسماعيل عليه السلام انه سبحانه يشير اشارة محبة وعطف الى ابعاده الى البرية فيقول على لسان أبيه : (ربنا انى أسكنت من ذريتي (الآيات) ويقول في قصة الذبح والفداء : فبشرناه بغلام حليم ٠ فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى ٠ قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ٠ فلما أسلما وتله للجبين ٠ وناديناه ان ياابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين ٠ وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ٠ وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين ـ (الصافات : ١٠٠ ـ ١١١) ٠

ويقول : واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ٠ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك التواب الرحيم ٠ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم ـ (البقرة : ١٢٦ ـ ١٢٨) ٠

ويقول : واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يامر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا ـ مريم٥٣ ـ ٥٤ ٠

اقول : اين من تلك الآيات البينات التي تشع نورا وايمانا يضيئان جوانب النفس ، وتفيض جمالا وجلالا يثيران المشاعر الانسانية ، ويحركان العواطف البشرية ـ ثم أقول : أين من هذه الآيات الكريمة ذلك الحديث الفاتر المتهافت ، المضطرب المتناقض ، المعوج البنيان ، المتداعي الأركان ، الذي تجده في التوراة عن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ؟ ان هو الا حديث تافه يتعلق بامور الدنيا الفانية ، وحطامها الزائل ، من امتلاك الأراضي أو تمليكها ، واقتناء المواشي أو تربيتها ، وتزوج الزوجات ، والاكثار من الذريات ٠

ـ ١٢ ـ

وتمضي التوراة في سرد قصة اسحاق عليه السلام في شيء كثير من التفصيل ، فتذكر في قصة طويلة تصلح لأن تكون مسرحية ممتعة أن اباه ابراهيم اختار ان يخطب له فتاة من ابناء عمومته من الآراميين ، فارسل رسولا الى تلك البلاد لتحقيق هذا الغرض ، وينجح الرسول فيخطب لاسحاق ربقة بنت بتوئيل بن ناحور أخي ابراهيم عليه السلام ٠ فهي بنت ابن عم اسحاق ، وبنى بها اسحاق وحملت ثم وضعت توأمين الأول عيساو والثاني يعقوب (ـ تكوين ٢٤ ، ٢٥ ـ ٢٤) ٠

اما **عيساو**

فهو بالعبرية עֵשָׂו الأشعر او الكثير الشعر ، وسمي كذلك لأنه كان حين ولد كثير الشعر (تكوين ٢٥ ـ ٢٥) ، وعيساو اسم مشتق من فعل عبري معناه شعر أي كثر شعره ٠ ولعيساو هذا اسم آخر هو :

ادوم

وهو بالعبرية אֱדוֹם الأحمر ، وسمي كذلك لأن لون بشرته كان يميل الى الحمرة (تكوين ٢٥ ـ ٢٥) أو لأنه راى أخاه يعقوب قد طبخ طعاما فيه لون الحمرة فقال له عيساو اطعمني من هذا الأحمر (تكوين ٢٥ ـ ٣٠)

واما **يعقوب**

فهو بالعبرية יַעֲקֹב ، وهو فعل مضارع بمعنى يعقب ٠ سمي بذلك لأنه ولد عقب عيساو وكانت يده قابضة على عقب أخيه (تكوين ٢٥ ـ ٢٦) ٠

وقصة عيساو ويعقوب لا تقل في غرابتها عن قصة اسماعيل واسحاق بل انها أغرب وأدعى الى العجب ٠

فمع ان ربقه كانت ام عيساو ويعقوب فقد كانت نظرتها الى الأول تختلف عن نظرتها الى الثانى كما اختلفت نظرة سارة الى اسماعيل بن هاجر عن نظرتها الى اسحاق ابنها .

وانا وان كنا نعذر سارة حين تفضل ابنها على ابن جارتها وضرتها ، فاننا لا نفهم لماذا فضلت ربقة أحد ابنيها على الآخر .

انها كانت تحب يعقوب ابنها الأصغر ، وتفضله على ابنها الأكبر . ولماذا ؟ يبدو أنها أحبت يعقوب لأنه كان وسيما أملس البشرة اما اسحاق فقد أحب عيساو لانه كان نشيطا مولعا بالصيد .

وقد ضعف بصر اسحاق فى آخريات أيامه ، وذات يوم استدعى عيساو ابنه وطلب اليه أن يخرج للصيد ويصيد له ما يأكله ليدعو له بالخير والبركة .

ولما كانت ربقة حريصة على أن يتحول حب اسحق من عيساو الى يعقوب الذى تحبه فقد دبرت مكيدة ضد عيساو كي يغضب عليه أبوه . وقد نجحت فى مؤامرتها وكان لها اسوأ الآثار فى علاقة كل من الشقيقين بالآخر .

\- ١٣ -

ذلك أن ربقة لما سمعت اسحاق يدعو عيساو الى الخروج للصيد أوعزت الى يعقوب أن يسرع فيأتى لها باثنين من أجود جديانها كي تذبحهما وتطهو لحمهما ، ثم يقدمه يعقوب الى أبيه فيحظى برضاه وبركته .

وخشى يعقوب أن ينكشف لأبيه أمره ، لأنه كان - كما قلنا - أملس البشرية فى حين أن أخاه عيساو كان أشعر قد انتشر الشعر الغزير على ذراعيه وساقيه وحول رقبته وغيرها . ولكن ربقة تسير فى المؤامرة الى النهاية فتأتى بقطع من جلود المعز وتلفها حول ذراعى يعقوب وعنقه . ويدخل يعقوب ويقدم لأبيه الطعام وهو على هذه الحال . ويقول الأب : هل أنت عيساو ؟ فيقول نعم ويلمس يعقوب يد ابنه ويقول : « اليد يد عيساو ولكن الصوت صوت يعقوب » . ثم يتناول الطعام وتنجح المؤامرة ، ويدعو اسحاق ليعقوب بالخير والبركة .

يا عجبا كل العجب ! انظر أيها القارىء بعيني بصيرتك وفكر معى فيما تنسبه التوراة الى ربقة جدة الأسباط !

ان هذه السيدة كانت السبب المباشر فى ابقاء العداوة والبغضاء بين ابنيها الأخوين الشقيقين ، وكانت عداوة مستحكمة الحلقات نشأت عنها خلافات بين الأخوين فى حياتهما ، وشقاق وأحقاد بين أبنائهما وأحفادهما بعد وفاتهما . وكانت خلافات وأحقادا بعيدة المدى أفضت الى حروب دامية . ويذكر التاريخ أن بنى ادوم كانوا أعوانا لبختنصر على تدمير بيت المقدس وتخريب الهيكل الأول سنة ٥٨٦ ق‌م تقريبا - (مزمور ١٣٧ : ٧ - ٩) .

ولم يقف الأمر بجدة الأسباط الى هذا الحد بل انها - كما تقول التوراة - قد خدعت زوجها حتى جعلته يحب يعقوب ويباركه ويطرد عيساو وينهره . ثم انها فى سبيل الوصول الى غرضها قد ارتكبت أعمالا شائنة لا تليق بجدة الأسباط فقد حرضت ابنها يعقوب على الكذب والخداع . وتنسب اليها التوراة ما ذكرناه من قبل ، وهو أنها جاءت بقطع من جلد المعز ووضعتها حول ذراعى يعقوب ورقبته لتخفى أمره على أبيه . وتوهمه أنه هو ابنه المحبوب عيساو .

ويعقوب ابو الأسباط تنسب اليه التوراة المشاركة فى المؤامرة ، وأنه جارى أمه فى الكيد لأخيه ، ولم يفلح فى اقناعها بالكف عن تلك المكيدة الشائنة . وقد وصلت به رغبته فى التغلب على شقيقه وحصوله وحده على رضا أبيه وبركته أن يرتكب رذيلة الكذب فيخبر أباه الشيخ أنه هو عيساو الذى يحبه .

ثم ان هذه التوراة تضع اسحاق موضع الساذج الضعيف المستضعف الذى يصدق ما يقال له . ولا يكشف الله له حقيقة الأمر ، وتمر عليه المؤامرة ، ويصدق ما قاله يعقوب ، ويصب عليه جميع بركاته الى آخر قطرة من قطراتها حتى انه لم يبق منها شيئا لأخيه المسكين .

ويأتى عيساو وقد حمل لأبيه الطعام الذى

اصطاده له كما أمره ، فيبهت اسحاق ، ويبلغ به الغضب مداه ، ولا يقبل من عيساو طعاما ولا يكتفى بحرمانه من بركته بل برده ردا عنيفا · ويتضرع الصبي المظلوم الى أبيه المخدوع في تواضع بل ذلة فيقول : « اما أبقيت لى بركة ، فيرده ولا يبدى عطفا عليه ، ويعود الصبي فيقول : « الك بركة واحدة يا أبي ؟ » ويسرف الأب في قسوته على ابنه عيساو فيقول له فيما قال : لأخيك تستعبد ، وسيكون سيدا لك ·

ويذهب باسحاق الغضب على يعقوب الى أبعد من هذا ، ذلك ان التوراة تنسب اليه انه يبدى رضاه التام عن يعقوب ·

ويسرف في الرضا عنه والدعاء له ، والرجاء من الله أن يباركه ويكثر نسله فيكون أبا لمجموعة من الشعوب ، وأن يخلع عليه وعلى ذريته بركة ابراهيم ويورثه الأرض التى وعده بها « تكوين ٢٨ : ٣ ـ ٤) ·

وتروى التوراة فيما تروى عن يعقوب أنه رأى رؤيا ظهر له فيها الرب ووعده بأنه سيمنحه هو وذريته الأرض التى ينام عليها ، وانه سيكثر من نسله حتى يكون كتراب الأرض » ـ تكوين ٢٨ : ١٠ ـ ١٥) ·

وليس لدينا ما نقوله فى التعليق على هذا الوعد أكثر مما قلناه من قبل فى التعليق على نظائره من الوعود فكلها تنبع من معين واحد ، وهنا أيضا تتخطى التوراة عيساو ، وتختص بهذا التكريم يعقوب ، من غير أن تذكر ما يستدعى هذا التكريم من جهة ، وذلك الحرمان من جهة أخرى ·

وليس لدينا شك فى أن السبب فى هذاكله هو ما سبق أن أشرنا اليه عدة مرات وهو أن كاتب التوراة الاسرائيلى تعمد انه يصل فى النهاية الى نتيجة يرتضيها هو ، وهى أن جده يعقوب دون سواه هو ولى العهد والمختص بالوعد بامتلاك ارض الميعاد · وليس يعنيه بعد ذلك أن يرتكب فى سبيل الوصول الى هذا الغرض الشخصى كثيرا من المتناقضات وينسب الى أنبياء الله كثيرا من الشناعات ·

وبعد فيأيها القارىء الكريم ، هل تصدق أن التوراة التى تقص علينا هذه القصص هى التوراة التى أنزل الله على موسى عليه السلام ؟ أما أنا فأقول لا · وأعود فأقول ان التوراة العبرية التى بين أيدينا قد كتبها كتاب مختلفون فى عصور مختلفة وأرجو أن تتاح لى الفرصة لبيان ذلك بالتفصيل ·

ونختتم هذا المقال بأن نقول ان يعقوب قد سمى فيما بعد باسم آخر هو اسرائيل ·

وهذا هو ما سنتحدث عنه فى مقال تال ان شاء الله ·

حامد عبد القادر

نظرات

حول مؤتمر بغداد

الدكتور أحمد كمال زكي

- ٢ -

بلا أى تمهيد نعرض لهذا الشعر الذى رشح أصحابه للسفر الى بغداد ثم لم يسافروا ، نريد بذلك أن نقرنه بالشعر الذى ألقى هناك باسمنا نحن أدباء الجمهورية العربية المتحدة . والمقارنة فى واقع الأمر تستهدف شيئين ، أولهما أن نكون على بينة مما يحدث عادة فى عمليات الاختيار لأى مهرجان أدبى ، وثانيهما أن نزيل شبهة الشك فى انتاج من لم يظفر بشرف تمثيلنا فى الخارج .

ولقد رأينا فى المقال السابق أن اثنين فقط من خمسة عرضت لهم استطاعا أن يقدما شيئا له قيمته ، فى حين تورط الآخرون بين انتاج عادى جدا لا يمثلهم هم أنفسهم والنتاج كان يجب منع أصحابه من السفر نهائيا .

ولا أظن انى أتجنى او اجانب الحق ، فالله يعلم كم خسرنا فى المهرجان على الرغم مما زعم لنا من الكفاءة فى مجال الشعر .

وابدأ بشاعر طالما فاز بالجوائز التى توجت بجائزة الدولة التشجيعية ، واعتادت قصائده أن تصل الينا ونحن تلاميذ يراد لنا أن ننضج وتهذب أذواقنا ونتفهم شيئا اسمه الجمال . ابدأ **بمحمود غنيم** فى قصيدته « بغداد » التى نشرت فى عدد ٢٥ فبراير سنة ١٩٦٥ من مجلة الرسالة ومطلعها :

بغداد قرة عين الشرق بغداد
لحن تغنى به الاسلام والضاد

وأول ما نلحظه أن ذلك المطلع لا يمكن أن يدل على قصيدة تقع فى نحو ثمانين بيتا من البحر البسيط ، ثم يصعب علينا أن نتبين فيه خطوطا دالة بل قد نفتقد فيه سحر المطالع التقليدية الجذابة ولقد كنت أرجو على الأقل أن يتجنب الشاعر هذه الألفاظ العامة التى طالما حذرنا منها القدماء وهم يناقشون شعر الفحول مناقشة بلاغية صائبة ، فقرة العين مثلا لا يمكن أن تكون ملمحا ذاتيا لبغداد، ويمكن فى الوقت نفسه أن تنازعها فيه القاهرة أو مكة او الخرطوم أو اى بلد عربى آخر ، كذلك يكون من المؤكد أن مثل هذه البلاد شتى ألحان يتغنى بها الاسلام والضاد . وعلى ذلك يخطىء البيت فى جملته الهدف ، ويسقط بمجرد وصوله الى آذاننا باردا لا روح فيه ، فان جاوزناه الى البيت التالى وهو الذى يقول فيه .

الدهر يعرفها للكون عاصمة
تقوده كيفما شاءت فينقاد

عجبنا لأنها وان سلمنا بأنها كانت ذات يوم عاصمة للكون - ربما من وجهة نظرنا - فقد عجزت حقيقة عن أن تقود الانسانية « كيفما شاءت » بل ربما لعبت البصرة دور القيادة خيرا منها اذا اخترنا مجالات الثقافة فقط ، وأما فى غير ذلك فالمسألة فيها نظر .

هى احالة تتضخم فى البيت الثالث بصورة بشعة ، أو لنقل انها من ضروب المبالغات التى يتردى فيها الشاعر على أساس أن أعذب الشعر أكذبه . ولكن هذه القاعدة - كما ينبغى أن نقرر - لم تكن معتمدة على طول الخط من قبل القدماء ، فضلا عن أن كثيرين منهم ونضيف اليهم المحدثين أصبحوا يرون أن القصد والاعتدال مع بساطة الكلمة محك دقيق للشاعرية الصادقة .

فان أصر فريق على أن « طبيعة » الأداء الشعرى أن يكون كذلك ، سألنا : فماذا فى الاستهلال كله مما يفرقه عن النثر الخطابى ، اننا نسلم دائما بأن الفرق الجوهرى بين استعمال « الكلمات » فى الشعر والنثر كامن فى حيويتها أو فيما تضفيه علينا من نشاط ، ويوم تفتقد هذه القوة تفتقد روح الشعر

كله . وفي رأيي أنه كلما كان الشاعر مخلصا مع نفسه أفاض علينا من حيوية كلماته ما شاء من ايقاع ومعنى جدي وجدة توحي بمختلف الألوان والأضواء .

معذرة ...

ثما أريد أن أقف على القصيدة مثل هذه الوقفة الجزئية ، فان عدلنا الى النظرة الشاملة افتقدنا البناء العضوي المتماسك . وأول ما يدل على ذلك تردد الشاعر بين مختلف الضمائر لقفزاته التي لا ضابط لها إطلاقا ، فالأبيات الثلاثة الأولى ضميرها غائب ، يعقبها بيتان يخاطب فيهما بغداد ، فأبيات ثلاثة أخرى يعدل فيها الى خطاب الجماعة ، ثم عود الى الغائب وهكذا ...

وبوسعنا أن نستخلص من هذه المراوحة أشياء كثيرة ، الا أن أبرز هذه الأشياء جميعا ضياع الرؤية المحددة بين الماضي المجيد والحاضر الذي يريد أن يمزقه أشياع من ارتاد طباق الجو ، وعندما أراد أن يربط بينهما تلقفته تلك الاحالات التي أغرم بها حتى ليقول :

قل للألى طاف حول النجم طائفهم
وارتاد منهم طباق الجو مرتاد
ان تفعلوا فبنوا العباس من قدم
تناولوا بالأكف النجم أو كادوا

وتكون النظرة التاريخية بعد ذلك بداية استواء في موضوع القصيدة ، لاسيما بعد أن يدلي برأيه في طبيعة الشعر من حيث هو وزن قوامه « أسباب وأوتاد » ، وان كنت لا أزال آخذ عليه اخفاقه في تطوير الفكر بطبيعية وبمنطق معقول مقبول ، فمن الحديث النبوي والشريعة الى النواسية واللهو ، ومن دار الحكمة والرشيد الذي هو لحن يردده فم الزمان الى الجواري اللائي مالهن أجداد « سوى عواهل الفرس والرومان » .

وهنا نقرر أن « العمودية » فرضت على شاعرنا ما اعتادت أن تفرضه على كبار شعرائنا الأولين ، حتى ان الشاعر ليعجز عن أن يرى الرشيد الا وهو يعطيه كما أعطى أبانواس وأبا العتاهية وابن الاحنف وغيرهم .

دعني أعيش مع الماضين في حلم
ان الهموم على اليقظان تزداد
على الرشيد اذا أنشدت يسمعني
ان الرشيد كريم الكف جواد

ملحوظة : الشطر الثاني من البيت الأول بعيدة صلته بالصدر الا بتأويل طويل !

وتهيأ للشاعر بعد ذلك أن يفخر فخرا عاليا في أربعة أبيات يمهد بها للقضية التي تشغل الشعوب العربية اليوم ، وأعني بها قضية الوحدة ، وكأن حديثه عنها هو لب القصيدة . فهو ثابت الخطى وقور ، وهو يحاول أن يناقش المشكلة ويحدد أبعادها في كيد الأعادي واغتصاب آل صهيون واستفزاز أبناء يعرب مادام فيهم أمثال خالد ابن الوليد وصلاح الدين الأيوبي .

يا يوم رد فلسطين الشهيدة ما
للعرب غيرك في الايام أعياد
لا يحسب القوم أن العرب قد عقموا
شعب العروبة للأبطال ولاد
مازال فينا لعمرو وابن حارثة
وخالد وصلاح الدين انداد

وأنتقل الى الشاعر **عامر محمد بحيري** وقد طالما جادلته في « معنى الشعر » ، ووافقني أو وافقته على أشياء أهمها أنه مهما يكن « شكله » يظل مرتبطا بالتقاليد والتراث في المحل الأول . غير أن من الخطر على الشعراء أن يجوروا على صور الأولين ، وأن يخضعوا في سبيل الوزن الى ما ينتقص معانيهم بحجة أن بحرا دون بحر يحتاج الى ألفاظ بعينها دون ألفاظ أخرى ، وأن « المباشرة » في العطاء ـ على أساس أنها سهلة أو قريبة التصديق ـ خير من « اللامباشرة » ، لأنها تسلم الى الغموض أو الى التشويش أو الى التجريد أو الى أي شيء من هذا القبيل .

اننا لا نريد من الشاعر سوى أن يفكر ويشعر على نحو مقنع ولا يشاركه فيه غيره ، وهو متى فعل ذلك ـ فارضا على نفسه حدودا ذاتية ـ فلن يجد من يسائله : وأين أنت على الدرب فيما تقول ؟

وأرجو ألا يسيء الشاعر في شخصي فان قصيدته « صرخة الوحدة » أعجبتني ، ولكني أصاب دائما بالذعر كلما بدت القصيدة أمامي مضيعة بين ما يرضي الجماهير بمباشرتها وما يوحي بأن صاحبها كان همه اقامة الوزن ما كان يأتي بتأليف مفيد بغض النظر عن أن يكون هذا التأليف شعرا .

والتأليف الشعري ـ من وجهة نظري ـ سر

الشاعر اولا وأخيرا ، ولكنه مع ذلك سر كامن فى اللغة عندما تغدو تصويرية مجازية تبعد عن التقريرية التى تقربها من لغة النثر حتى وان كانت ذات ايقاع مؤكد .

وعامر بحيرى - لحسن حظه او لذكائه - وضع فى حسابه هذا أو شيئا مثل هذا . ولكن بعد استهلال فيه كل العيوب التى سقتها على هيئة مصادرة ، وهى فى الحقيقة أساس يجب أن يوضع لكل شاعر . انه بدأ فاعلن دهشته أو عجبه من صوت العروبة الداعى - وكان للعروبة شتى أصوات - طالبا أن يصغى اليه الشعب فى جميع البقاع ، ثم تحرك الى البيت الثانى ليضيف شيئا فحدد مكان الصوت مع اعادة طلبه أن يقبل الشعب عليه بالاسماع .

اى صوت من العروبة داع
اصغ يا شعب فى جميع البقاع
قد اتاك النداء من قلب بغدا
د ، فاقبل عليه بالاسماع

ولست أحسب أن فى الاعادة هنا افادة ، كما لا احسب أن ثمة فرقا بين « أصغ » و « فاقبل عليه بالاسماع » فضلا عن ان الأولى اقوى فى الدلالة وأوجز - والايجاز مما يستحب فى الشعر - مع ملاحظة أن التكرار كان يستلزم أن يكون «الاقبال» بشىء أكبر من مجرد شد الأذن !

والأبيات السبعة التى اعقبت هذين البيتين تكشف بوضوح عن عقم « النظام البيتى » اذا افتقد طاقة الشاعر الكبير ، أو اذا ترك الشاعر نفسه لايقاع الوزن مضحيا بالمعنى . فهو يستخدم «حالاء من صاحب بعيد فصل بينها وبينه جملة «فاقبل...» وهو يطلب من النداء أن يجمع الماضى مع الحاضر « ذكرى » ، مع أن الحاضر لا يكون كذلك حتى يغدو فى خبر الذاهبين ، وهو يشهر سيفه القديم جديدا - لا أدرى كيف - وصورة السيف أصبحت كصورة الناقة مما يجب اسقاطه من شعرنا الحديث كله ، ثم هو يقرر أننا .

نحن كالأولين بين كريم
شب نار القرى وبين شجاع

وهذا - على جمال تركيبه - مما لا يعطينا الفضل الذى نستحقه ، ولا ينطبق على تطلعاتنا من حيث اننا شعب يجب أن يقوم كرمه فى ضوء نار أخرى غير نار الضيفان التقليدية !

لعلنى شرحت ما أريد حين قررت أن شاعرنا لحسن حظه او لذكائه وضع فى حسابه - بعد هذا - معنى الشعر الذى نريده ، فقدم موضوعا له اول وله آخر . فلم نضل فى المعانى الجزئية التى يمكن أن تكون بيتا ولا تكون قصيدة متماسكة ، وعندما أسقط أبياتا نشرها مستقلة فى عدد من أعداد الثقافة تحت عنوان « لمحات » ، نزولا على رغبة الأصدقاء ، كان يحاول - فى واقع الأمر - أن يفى بالتزام الوحدة المطلوبة كانما رآها اضافة لا غناء فيها ولا جمال ، ولولا هؤلاء الاصدقاء - سامحهم الله - لما علم بامرها أحد .

أعود الى الموضوع - ويعجبنى من الشاعر أن يكون صدوره على أساس مهما يكن نوعه - فنرانا أمام المعنى الكبير الذى وضع له عنوان القصيدة « صرخة الوحدة » .

سبقت مصر فى النداء الى الثو
رة ، من بعد فرقة وضياع
خرجت من دجى الظلام الى النو
ر بعزم وقوة واندفاع

وعلى الرغم من عنات أصبح الجيش بها ، فرقة استطلاع ، وقرص الشمس ، يراعى ، مجد السد على الشاطئين فان الحركة الشعرية العاقلة تسير مستانية فى أخيلة تحط على أسلم وجه ممكن ، ويكون انتهاؤه الى بغداد بداية للغناء الذى يجب أن تظفر به ثورة العراق :

ايه بغداد قد اتيناك نبغى
آية الشعر والهوى والسماع
ما انتفاعى بنظمى الشعر ان لم
يك باللحن والغناء انتفاعى

ملحوظة أخرى : ليس هذا وحده غاية الشعر !

ولم يكن بد من أن تثار الفكر وتحرك الكوامن ، ولم يكن بد من أن تبسط مواقفنا ونحن نذود عن العروبة ولغتها ونكشف عن مكر الدخيل ، فهذه جميعا نتائج معقولة جدا لموضوع الوحدة الذى شرحه فى ثورتين رائدتين هما ثورة مصر ثم ثورة العراق .

واصل أخيرا - وليس آخرا - الى الشاعر عبده بدوى ، وهو حتى الآن يعرف برقيق القصيد ورهافة كلماته . ولكنه يحاول بخياله النشيط أن يقتحم أرضا كان يبدو شعره فيها غريبا ، وتمكن أخيرا فى اضطراب التوازن الذى عصف بالفكر المعاصر أن يظهر محافظا حتى وهو يتمرد على العالم - فى بعض قصائد نشر قلة منها فى الآداب - ويسلم باحقيته كشاعر فى أن يقبل بعض الفوضى .

وتبدو قصيدته « بغداد فى حلم » وهى التى نشرها فى العدد ٨٥ من الثقافة التى صدرت فى ٢ من مارس سنة ١٩٦٥ ـ أقول تبدو هذه القصيدة محصلة من محصلاته فى ضوء حفاظه وتوريته معا ، وأول ما يدهش له قارئها امتلاكه ناصية «البلاغة» عندما تكون هذه سلاسة وعذوبة • مما يذكرنا بانه ـ على النقيض من شعراء العمودية ـ يرفض أن تضرب كلماته وتركيباتها فى أرض التقاليد •

لكن هذا الدهش لايصرف الذهن قط عن التركيب المتين لهيكل القصيدة ، بل لأول مرة تقريبا يرى عملا كاملا فى موضوع واحد دون فضول ولا ذيول بعكس كل القصائد التى قصدت بها بغداد •

واذن فالشاعر بين بين فى أدوات فنه واستعمالاتها أى أنه محافظ على الشكل القديم وثائر على الصور التقليدية فضلا عن أنه يبعد عن العموديين فى صدوره عن موضوع يتضمن تجربة لها ضرب معين من المعاناة • أما البلاغة عند ما تكون سلاسة وعذوبة ، ففى مثل قوله :

فعقدت الجفون وانتفضت نف
ـسى وزفت أغنية محبوبة

وفى قفزاته وهو يحمل الورد والحب ويراقب النخل وتراقبه عيون العذارى والنواعير والقباب القشيبية • انها تمتمات شهر بها **عبده بدوى** ، بل لفتت اليه الأنظار مذ بدأنا ننشر شعرنا فى صحيفة « المصرى » القديمة ، وأظنه يشارك فى هذا أغلب من يرى فى الكلمة الشعرية خلقا كاملا وايقاعا يبنى تنظيما موسيقيا خاصا •

وما دام يرى بغداد فى الحلم ، والصور التى أتى بها كلها لا تكون الا فى الحلم ـ فثمة الورد يشرب الضوء من الأباريق ، والنخل يغزل صوتا كأنه الشهقة المسحوبة ، والنيل بيت شطرتاه القتار والنوبة ، والنجوم والصحارى والراية المنصوبة كلها تغنى ـ فلا بد أن يتصل بالماضى ورموز الاحلام عادة لا تكون الا فيه ، هكذا يرى السيكولوجيون !

وكما أن الحلم ومضة مهما تطل رؤى النائم ، فكذلك كانت صور الشاعر • فبرىء من التكرار الأسطورة ـ ولكن دون تورط فى حمأة الجسد وسورة الكأس على نحو ما فعل غيره ـ وان لم يزود بها عن الرشيد وجه العروبة وصاحب الأرض التى امتلكنا نصيبه فيها من الحياة •

انه هنا فى الواقع يلتقى مع أغلب الشعراء الذين أنشدوا لبغداد ، بغض النظر عن ريشته الذكية التى لعبت بالظلال فى جرأة ورشاقة • وربما يكون أفضل لنا لو قلنا انه فى هذه التفصيلات يعيد اعادة بارعة كل ما تورط فيه أكثر الشعراء الذين تمهرجوا فى بغداد •

لم نقل كلمة فصبت شموس
فوقها الف نجمة مقلوبه
واذا الفجر والنخيل صريع
وابو نواس يعاود كوبه
اسكر النور والحياة بكاس
وبشعر وصدر بنت لعوبه

ويستمر الحلم ـ **ولكن فى تناسق فكرى ـ** فاذا الشمس تغيب فتنام ، ثم تنتبه على العقم والليالى الجديبة وفراغ الحياة والدجى والرطوبة • ومثلما يكون البعث فى النبات الذى يموت شتاء تندفع فى جذورنا نحن دماء الحياة • ان الشاعر يستمد عطاء أساطيرنا ـ فرعونية كانت أو اشورية ـ ويرى فى موتنا حياة أكثر جدوى وأكثر قدرة على البقاء يقول :

ثم عادت الى الجذور حياة
فارتعشنا مع الجذور الخصيبه
واذا العزم فى النفوس ، ونار
تحرق الضعف او تدق جيوبه
واذا الحب بيننا ، والليالى
دوحه الطير والأمانى الطروبه
واذا الله فى المآذن نور
واذا الليل حاضن عندليبه
واذا الأفق ربوة من حرير
والسموات من يدينا قريبه

وتنتهى الرؤى به وصوته «العربى» يطير باغنيات « العروبة » ، واضعا اللمسات الأخيرة فى اطاره الجميل ، ومؤكدا من ناحية أخرى أنه حقق فى قصيدته تلك ما افتقدته قصائد الآخرين أو على الأقل أغلب قصائد الآخرين ، وأحسبه يقف فى جانب مع محمود حسن اسماعيل فى انهما لم يدليا بدلوهما فى الانماط التى تلغى شخصيتهما ولم يلجئا الى « المباشرة » التى يصفق لها الجماهير •

وبعد ، فهل نحن بحاجة الى أن نختم باجابة عن السؤال :

من كان أولى بالسفر الى مهرجان بغداد ؟ أظن لا •• أظن لا ••!

د • احمد كمال زكى

المجتمع الاشتراكى والتفرقة العنصرية



للدكتور: عبد العزيز كامل

يذهب دعاة التفرقة العنصرية الى ربط الملكات العقلية والصفات البدنية ربطا طبيعيا أو وراثيا . وقد رأينا فى المقال الثالث كيف أن هذا الاتجاه ذهب ببعض العلماء المتعصبين للجنس النوردى الى تفضيله على العالمين باعتباره خالق الحضارة وسيد الشعوب ، وكان هذا ذروة من ذرى « التعصب الأبيض » ضد الأجناس الملونة باعتبارها ـ عند البيض ـ اقل منهم ذكاء وادنى فى سلم التطور وأقرب فى صفاتها الى القردة العليا . واتخذوا هذا ذريعة لاستعباد الأجناس الملونة فى أقطارها الأصلية او فى مهاجرها فى العالم الجديد .

ويذكر **ارنست كرتشر** ، ان الحضارة العالمية فى أبرز مظاهرها ، لم تظهر فى الشعب النوردى الا حيث تعرض هذا الشعب لاختلاط شديد بشعوب أخرى .. ومن المؤكد أن المناطق التى تسكنها سلالات نوردية خالصة فقيرة نسبيا فى العبقرية والانتاج الحضارى . ولم تكن مراكز أكثر الحضارات الأوربية تقدما فى اسكندناوة أو على سواحل ألمانيا الشمالية او فى اسكتلندة وانما كانت دائما فى مناطق حدث فيها اختلاط بين الشعوب ..

ويستدل « **هانتشيب هوايت** » بأدلة تاريخية يعزز بها الفصل بين العنصر والذكاء بقوله عن قدماء المصريين ودخول عدة عناصر فى تكوينهم « ان هذا الأصل لأصحاب هذه الحضارة التى لا تفوقها حضارة دليل كاف على ما ينطوى عليه الوهم بانفراد شعب واحد بالتفوق من خطأ، ولو كان عند المصريين القدماء تعصب عنصرى وأخذوا فى تصنيف الشعوب وقتئذ على أساس من تطورها ـ لكان من المؤكد أن يضعوا السلالات النوردية من بين الشعوب المتخلفة » ولهذا تبدو رجاحة رأى «هوايت» حين يقول « ان الرخاء الطويل الأمد الذى تمتعت به مصر القديمة يرجع الى حد ليس بالضئيل الى التسامح المصرى التقليدى فى أمور الشعوب والأديان » .

ولقد بينت اختبارات الذكاء التى أجريت على اطفال من عناصر مختلفة ، أنه لا علاقة بين العنصر والذكاء .. من ذلك أنه فى مدينة نيويورك قرر القائمون بأمر التربية فيها أن ينشئوا مدرسة ، خاصة للأطفال النابهين . واختاروا خمسمائة طفل موهوب على أساس اختبارات الذكاء التى اجريت فى المدارس الأولية فى جميع أنحاء المدينة . وحين تم فحص هؤلاء الاطفال من حيث التبعية العنصرية والقومية والدينية ظهر أن النسب المئوية للتوزيع تمثل نفس توزيع سكان المدينة تقريبا . فقد كان ١٠٪ من الأطفال الموهوبين زنوجا وهى تقريبا نفس نسبة الزنوج فى مدينة نيويورك . الا أنه لوحظ أن الغالبية العظمى من الأطفال الموهوبين كانوا ـ بعامة ـ اثقل وزنا واكبر حجما من معدلات غيرهم من الأطفال فى نفس السن . وقد يدل هذا على

تأثير البيئة الملائمة على اتاحة الفرصة لنمو مواهب الأطفال ·

وفي داخل كل مجموعة عنصرية واحدة ـ من الزنوج او الألمان أو البولنديين ··· الذين يسكنون نيويورك ـ كان هناك تفاوت واضح بين مستويات الذكاء · بل ان بعض اختبارات الذكاء التي أجريت في امريكا على المجندين في الحرب العالمية الأولى أثبتت أن بعض زنوج الشمال أعلى مستوى من بعض مجموعات البيض · ويبين هذا تأثير تحسين البيئة على نتائج الاختبارات · فهذه النتائج تميل الى الهبوط مع ظروف البيئة غير الملائمة ، وتميل الى الارتفاع مع ظروف البيئة الملائمة · وخاصة اذا علمنا أن بعض اسئلة اختبارات الذكاء تتعلق بالمعرفة العامة والقدرة على معرفة العلاقات والمتعلقات وجانب من هذا له تأثره بالظروف التي يحيا فيها الفرد ·

ومن هنا يبدو جانب من واجب الدولة في رفع مستوى المعيشة لافرادها واتاحة الفرصة لكل طفل أن تتفتح مواهبه والا يكون الفقر سببا من أسباب تعطيل نموه ·

وما دامت للظروف غير الملائمة تأثيرها العميق على انتاج الفرد ، فان نتائج هذا التأثير ـ في شمولها أفراد الجماعة ـ تتجمع لتشكله وتحدد المستوى الثقافي العام لجيل من الأجيال ·· ومع استمرار هذا المستوى تبدو آثاره على مستوى شعب من الشعوب أجيالا متلاحقة ·

فهناك فرق كبير بين الذكاء باعتباره قوة ، وبين الثقافة باعتبارها تحصيلا وانتاجا وسلوكا ·

واذا كانت الدراسات العلمية قد أثبتت أنه لا يمكن الربط بين الذكاء والعنصر ، فان التاريخ والواقع يؤكدان تباينا كبيرا في مستويات الثقافة بين الشعوب بل بين اجيال الشعب الواحد حين تتغير الظروف التي يعيشون فيها والقيم التي يؤمنون بها ·

ولقد مرت على الانسانية مراحل كانت منارات الثقافة فيها عالية فوق الأودية الخصيبة في شمال افريقية وجنوب غرب آسيا وجنوبها حتى الصين في الشرق · ولا زالت بعض الجوانب العلمية من هذه الحضارات أسرارا لم يستطع العقل الحديث أن يصل الى أغوارها · والنظرة السابقة الى قلب افريقية باعتبارها القارة المظلمة قد أخذت تتبدل · فقد أثبتت الكشوف الأثرية الحديثة عراقة الانسان وحضاراته في افريقية · وهناك اتجاه بين الباحثين المحدثين يذهب الى القول بأن هضبة شرق افريقية يمكن اعتبارها موطن الانسان الأول . ذلك لأن أقدم الآثار الانسانية التي عثر عليها حتى الآن كانت هناك (يراجع الفصل الثاني من القسم الأول من المجلد الأول من كتاب : تاريخ الانسان باشراف هيئة اليونسكو ·

وهذا القسم خاص بما قبل التاريخ وكتبته ج ـ هوكس · وكتب بدء الحضارة سير لنادر دولي ـ ١٩٦٢) ·

وفي الماضي ازدهرت حضارات واضمحلت ، وليس هناك ما يحول دون ذلك في المستقبل · ويشاهد عصرنا الحاضر ثورة يطلق عليها اسم « ثورة الآمال الكبيرة » · وجاءت هذه الثورةلاحقة للثورة العلمية ، التي تعم آثارها العالم كله ، كما جاءت لاحقة للاستقلال السياسي الذي شمل معظم آسيا وافريقية وامريكا اللاتينية وحصر الاستعمار في أركان ضيقة واضطره الى تغيير أساليبه فبدا في ثوب أصبح الآن يعرف « بالاستعمار الجديد » ·

وهناك ارتباط عميق بين الاتجاهات الرأسمالية والاستعمارية من ناحية ، وبين التفرقة العنصرية من ناحية أخرى · واذا أخذنا الوجه الآخر وجدنا ارتباطا قويا بين سيادة الاشتراكية وأفول التفرقة العنصرية ·

ذلك لأنه ما دامت التفرقة العنصرية لا تجد لها أساسا قويا ـ ولا ضعيفا ـ من العلم ولا من الدين فان علة وجودها ترتبط بالأنظمة الاقتصادية والسياسية والعلاقات بين الدول ·

وقبل أن نبدأ في دراسة هذا الموضوع ـ وهو علاقة التفرقة العنصرية بالنظم التي تتبعها الدولة ـ يحسن أن نذكر خلاصة وثيقة اليونسكو عن التفرقة العنصرية ، باعتبارها من أفضل ما كتب في هذا الموضوع على أساس علمي :

يتفق العلماء على أن الناس الذين يعيشون اليوم يرجعون الى أصل واحد وينحدرون من عنصر مشترك · ويجمع علماء الانثروبولوجيا على أن فكرة « العنصر » أداة تصنيفية تكفل اطارا يمكن أن ترتب في داخله المجموعات البشرية · وينبغي أن تقصر كلمة « عنصر » بمعناها الانثروبولوجي للدلالة على مجموعة من الناس تختلف عن غيرها من المجموعات في صفات جسمية واضحة ووراثية

فى المقام الأول . وترجع بعض الاختلافات الجسمية بين المجموعات البشرية الى التكوين الوراثى ،ويرجع بعضها الى اختلاف البيئات التى تعيش فيها . وفى معظم الحالات عمل هـــذا المؤثران معا . وتختلف المميزات الوراثية التى ينبغى استخدامها فى تصنيف المجموعات البشرية كما يختلف تفاوتها فى داخـل هـــذه المجموعات ويبدو أثر ذلك فى الأقســـام التصنيفية التى تصطنع للغرض العلمى المقصود .

وليس من الضرورى أن تتفق المجموعات القومية والدينية والجغرافية واللغويةوالثقافية مع مجموعات عنصرية . وليست هناك أية صلة يمكن اثباتها بين الملامح الثقافية لمثل هذه المجموعات وملامحهـــا العنصرية . ولا يمكن أن تطلق لفظ « جنس » أو « عنصر » على الأمريكيين أو الفرنسيين أو الألمان، ولا على أية مجموعة قوميـــة أو دينية كالمســلمين والمسيحيين واليهــــود ولا على المتكلمين بلغة من اللغات . وقد يكون استعمال لفظ « جنس » أو « عنصر » حين الكلام على مثل هذه المجموعات خطأ كبيرا . ولكنه خطأ يرتكب فى العادة .

ويستطيع الانثروبولوجيون أن يصنفوا الأجناس البشرية بطرق مختلفة. ومعظمهم يتفقون على تصنيف الشطر الأكبر من الناس اليوم فى ثلاث مجموعات كبرى . ولا يعتمد هذا التصنيف على أية صفة جسمية بمفردها .

ولون البشرة لا يميز بالضرورة مجموعـة كبرى عن مجموعة كبرى أخرى ، والاختلافات فى البنية الجسمية التى تميز مجموعة كبرى عن أخرى ، بقدر ما أمكن تحليلهـــا ، لا تؤيد الأفكار الشـائعة عن « اســـتعلاء » عـــام أو « نقص » عـــام مما تنطوى عليه الاشارة أحيانا الى هذه المجموعات.

ويمكن القــول بأن المجموعات الكبرى يتدرج بعضها نحو البعض الآخر . وتتـداخل الصـفات الجسمية التى تميزها والعناصر فى داخلها تداخلا كبيـرا . وأن الاختـلاف بين أفــراد الســلالة الواحدة ــ فى معظم الصفات التى يمكن قياسـها أوسع من الاختلاف بين معدل سلالتين أو أكثر من نفس الجماعة الكبيرة . وأن معظم علماء الأجناس لا يأخذون فى اعتبارهم الصفات العقلية عند تقسيم العناصر البشرية . وهناك دلائل قوية على أنه اذا عاشت جماعتان من بدء الطفولة فى نفس البيئة الاجتماعية والثقــافية كانت الاختلافات بينهمـا ضئيلة . والى هذا الاتجاه عاد علماء النفس الذين سـبق أن روجوا لاختلاف الذكاء بين العناصر المختلفة وأرجعوه الى الوراثة .

وتبرز المادة العلمية التى توفرت بين أيدى هذه الصفوة من العلماء، أن السبب الأول فى الاختلافات الرئيسية ليس الوراثة ، وانما التجارب الثقافية التى عاشتها كل جماعة بشرية . وليس هناك دليل على وجود جنس نقى ، ولا مبررات بيولوجية مؤكدة تدعو الى منع التزاوج بين أفراد العناصر المختلفة ، وأن نتائج هــذا التزاوج تتأثر بالعوامل الاجتماعيـة ، وليســت هناك معـلومات تدعو الى الاعتقـاد بأن مجموعات النوع البشرى تختلف فى قدراتها الفطرية على التطور . وقد حدثت تغيرات اجتماعية هائلة لم تكن مرتبطة بأية صورة من الصور بتغيرات عنصرية. وهكذا كانت الدراسات التاريخية والاجتماعية تدعم الرأى القائل بأن الاختلافات الفطرية قليلة الأهميـة فى تحديد الفروق الاجتماعية والثقافية بين مختلف المجموعات البشرية .

هذه خلاصة وافية للبيان الذى أصدرته هيئـة اليونسكو فى ٢٨ يونيو ١٩٥١ عن المشكلة العنصرية، والذى وقعته صفوة من كبار العلماء العالميين وذكروا فيه كلمة العلم فى أمر العنصرية وانتهوا فيـه الى ما سبق أن قررته الأديان من قبل ، مع فرق واضح: فكلمة الدين لها عمقها وتأثيرها فى النفس وايمـان الناس بها . ولقد جاءت كلمة هؤلاء العلماء بعد رحلة طويلة ، قطعتها الانسانية فى طريق الألم والاستعلاء والأحقاد العنصرية .. ودفعت فيها الثمن الغالى من دماء بنيها ومصائرهم ، واتخذت فيها العلم ذريعة لاستعباد شعوب وقارات كاملة .

ولقد كان لتذبذب كلمة العلم أثر كبير على موقف رجال بعض الأديان فى قلب افريقية . فقد جاء هؤلاء مع الاستعمار وارتبطت مصالحهم به ، بل انه هو الذى كان يمد الكثير من الارساليات بما تحتاج اليه من مال . ورأى الافريقيون الفرق الـكبير بين المبادىء الأصيلة التى تدعو اليها الأديان وما يجدونه فعلا من علاقات اجتماعية وسياسية مضطربة يتضح فيها الظلم ولا يتحرك رجال الدين لانقـاذ هؤلاء المظلومين .. بل انهم كما يقـول بازيل دافيدسـون فى كتابه « صحوة افريقيـة » ، كانوا يـكتفون بأن يعدوهم بمملكة السماء وهم يساقون من مواطنهم فى افريقية الى العـــالم الجديد : عالم الرق والعبـودية والاضطهـاد . وعاش الافريقيـون بنفوس ممزقة لا تستطيع أن تدرك تكاملا حقيقيا فى هذه الحضارة الغربية ونظامها الاستعمارى الرأسمالى مما دعاها الى الثورة عليه ومرت مباشرة من النظام الاستعمـارى الى الحرية الاشتراكية التى يحاول الانحراف بها الى الاستعمار الجديد » .

د. عبد العزيز كامل

الحلة السيراء لابن الأبار

بتحقيق الدكتور حسين مؤنس

بقلم
إبراهيم الابيارى

نظرات فى التراث

قلت ، ولا ازال أقول : اننا فى حاجة الى مزيد من الاتصال بتراثنا ، ننشره كاملا ليفيد منه الخاصة ومن اليهم ، وننشره ميسرا ليفيد منه غير الخاصة . فيجتمع هؤلاء وهؤلاء على ثقافة مشتركة تكون مقوما من مقومات قوميتنا العربية التى نحرص على الا نمنى فيها مع الايام التى تظلنا والايام التى تستقبلنا ، كما منينا فيها مع الغابر حين فرطنا شيئا فى التمكين لهذه الثقافة المشتركة . وكدنا نعيش بين ثقافات مختلفة أوشكت أن تبلبل على الاخوة فى اللسان السنتهم وأن تباعد بينهم وبين ثقافتهم العربية التى اليها وحدتهم .

وكم تمنيت مع ظهور كل كتاب من كتب التراث العربى ان يلم به غير المختصين مع المختصين المامة ما ، حتى يكون الحديث جامعا ، لايبدو غريبا على أهله ، يشارك فيه الكل على صور مختلفة .

غير أنى كم شكوت قبل ما تمنيت صدوف الكثرة من القارئين الذين يرتفعون الى مرتبة التخصص عن أن يثقفوا شيئا عن تراثهم ، وهم الفئة التى نامل أن نجمع الناس حولهم ، واذا كان هذا هو العهد بهم فما أصرف الناس عن دعوة لايقيم لها اصحابها وزنا .

ان ثمة تقصيرا فى حياتنا الدراسية على اختلاف مراتبها ، فليس فيها الافساح المرضى لتراثنا العربى ، لا أعنى حياتنا الدراسية الادبية وحدها بل أضيف اليها حياتنا الدراسية العلمية . والغريب المؤلم أنا لانجد لهذا الافساح الا ظلا خفيفا فى الدراسات الأدبية المتخصصة ، ثم نفقده جملة فيما بعد هذا .

فأنا كما لاأسيغ للدراسات الادبية المتخصصة أن تعرف القليل من تراثنا وتطرح الكثير الا أسيغ للدراسات الادبية الاخرى والدراسات العلمية والفنية الا تعى ما كان لأسلافنا من صلات بالعلوم والفنون فلا تاخذ الموضوعات قبل أن تمهد لها بما كان للسلف فيها والفرق كبير بين بدأين : هذا البدأ الذى نحن آخذون به وذاك البدء الذى أهملنا الأخذ به فنحن مع ما نحن عليه قاطعون حاضرنا عن ماضينا منتهون الى بينونة سوف لانحسها الا حين تعز العودة، ونحن مع ما لم نأخذ به واصلون الحاضر بالماضى مضيفون الى ماضينا من حاضرنا ، منتهون آخر المطاف الى ثقافة عربية متطورة وعلم عربى متطور وفن عربى متطور ، وبهذا نكون قد حفظنا مقوماتنا التى تحمى كياننا من أن ينهار وتحمى وجودنا من أن يشيع فى غيره والكتاب الذى بين يدى الآن من هذا التراث العربى الذى عرفت حرصى عليه ورأيى فيه ، وهو كتاب يعنى المدرسة الادبية المتخصصة ، ثم هو الى هذا يعنى المدارس الأخرى ، اذ هو من الثقافة العامة التى يجب ان يحرص عليها كل مثقف .

واحبك ان تعرف معى أشياء ثلاثة :

اولها : مؤلف هذا الكتاب ، وهو ابن الأبار

وثانيها : هذا الكتاب ، وهو الحلة السيراء

وثالثها : جهد جليل لمحقق جليل ، هو الدكتور حسين مؤنس .

وأنا عن الاول لاأحب أن أطيل عليك الحديث فى موضوع كتب عنه الكثير بين مطول وقصير ، فلقد خص المرحوم الدكتور عبد العزيز عبد المجيد ابن الابار بكتاب مطول يقع فى نحو من أربع وثمانين وثلثمائة صفحة (٣٨٤) نال به جائزة السبق فى هذا الموضوع سنة ١٩٥٩ م . وقد نشر هذا الكتاب فى تطوان فى العام نفسه وفى سنة ١٩٥٧ م نشرت

أنا « المقتضب » من كتاب « تحفة القادم » لابن الابار وأفردت جزءا كبيرا من المقدمة للتعريف بابن الابار

وفى سنة ١٩٥٩ م كانت للسيد أنيس عبد الله الطباع رسالة عن ابن الابار تقدم بها الى جامعة مدريد للحصول على الدكتوراه • وقد طبعت الترجمة العربية لهذه الرسالة بعد ذلك ببيروت •

وفى سنة ١٩٦١ م نشر الدكتور صالح الاشتر كتاب « اعتاب الكتاب » لابن الابار وخص المؤلف بدراسة مستفيضة •

ومن قبل هؤلاء سبقت عناية المستشرقين بابن الابار وآثاره ، وكانت لهم حول ابن الابار ومؤلفاته كلمات ودراسات ، نذكر منهم : كوديرا ، وجنثالث بالنثيا ، وامارى ، وفرديناند فستنفلد •

ولعلك بهذا قد أحسست أنك مع واحد من أسلافك الذين تعتز بهم • وحياة الرجل مليئة واسفاره كثيرة وحسبك أن تعرف عنه هنا أنه هو : ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابى بكر القضاعى المشهور بابن الابار • وأن مولده كان ببلنسية سنة ٥٩٥ هـ على الاصح • وكانت وفاته سنة ٦٥٨ هـ فعمر الرجل امتد ثلاثا وستين سنة هجرية ، عاش فيها اثنتين وأربعين سنة فى الأندلس ، وسائرها ، وهو احدى وعشرون سنة فى افريقية •

وتذكر كتب التراجم التى جمت له نحوا من خمسة واربعين تاليفا فى الحديث والادب والتاريخ• وليس بين أيدينا من هذه الكتب كلها غير ستة ، منها : المقتضب من تحفة القادم ، والتكملة والمعجم، ثم هذا الكتاب الذى أريد أن أحدثك عنه ، وهو الحلة السيراء •

ولقد كان من هذا الكتاب خطية وجيدة تنقص قليلا من أولها تحتفظ بها مكتبة الاسكريال وعنها استنسخت نسختان احتفظت مكتبة مدريد بواحدة واحتفظت مكتبة باريس بالاخرى •

وقد عنى بهذا الكتاب اثنان من المستشرقين هما دوزى ومولر فنشر أولهما منه جزءا كما نشر الثانى منه جزءا ، وبقى الكتاب لايبلغ المفيدون منه مايريدون الى ان أتاح الله لاسيد الدكتور حسين مؤنس فنشره علينا فى جزءين وقبل أن أحدثك عن جهد لاحق دعنى أحدثك عن جهد سابق ، وأعنى به جهد ابن الابار فى كتابه الحلة السيراء •

لقد جمع ابن الأبار فى كتابه هذا تراجم قرون سبعة ، بداها بالقرن الاول الهجرى والتهى فيها الى منتصف القرن السابع الهجرى •

وكان مجموع من ترجم لهم مائة وسبعين (١٧٠) تنضم اليها أحاديث مختصرة عن ست وأربعين (٤٦) لم يجد لهم ما يكمل أن يكون ترجمة •

ولقد شارك بن الابار بمثل هذا المجهود فى عمل سابق مماثل ، هو المكتبة الأندلسية التى بدأها ابن الفرضى (٣٥١ هـ ـ ٤٠٣ هـ) بكتابه علماء الاندلس والذى وصله من بعده ابن بشكوال(٤٩٤هـ ـ ٥٧٨ هـ) بكتابه الصلة ، ثم جاء بن الأبار فوضع كتابه « التكملة » • ولقد جاء بعد ابن الابار رجلان وصلا هذا العمل الذى بداه ابن الفرضى وشارك فيه ابن الابار ، وهما ابن عبد الملك (٦٣٤ هـ ـ ٧٠٣هـ) وابن الخطيب (٦٢٧ هـ ـ ٧٠٨ هـ) •

ولعل هذه المشاركة أوحت الى ابن الابار ان يستقل بوضع كتاب شامل جمع فيها تراجم سبعة قرون كما حدثتك تنقص نصف قرن • ولقد جود ابن الأبار فى هذا التاليف وكانت ميزته فيه الاستيعاب الممتع على حين كان أسلوب المكتبة الاندلسية يلتزم الاختصار الذى لا يتناول غير اسم المترجم له وبلده وميلاده ووفاته ثم شيوخه وتلاميذه وكان هذا الاسلوب أشبه بالسجل منه بالترجمة •

وبهذا الأسلوب الخصب الغنى بالحوادث والأخبار ترك لنا ابن‌الأبار كتابا لايستغنى عنه ناظر فى تاريخ الاندلس •

غير ان هذا الجهد الجليل السابق الذى خطه ابن الابار بيمينه لم يكن من اليسير الافادة منه لولا جهد لاحق اضفاه الدكتور حسين مؤنس على هذه المخطوطة فقوم نصوصها واقام أبياتها وضبط أعلامها ضبطا لايقوى عليه الا من كانت ثقافته الاسبانية الى جانب ثقافته العربية •

وحسبى أن أحيلك الى الكتاب فى طبعته الجديدة التى أخرجتها الشركة العربية للطباعة لتقع على هذا المجهود اللاحق بين ثنايا الصفحات وفى أذيالها ثم فى تلك المقدمة الدارسة والفهارس المصنفة •

وبعد فما اجدر المختصين أن يضموا الى حصيلتهم حصيلة ، ثم ما أولاهم أن يقربوا هذا الكتاب للناس ليشاركوهم الراى وليكونوا معهم على ثقافة مشتركة

ابراهيم الابيارى

الإشهاد على المهادنات والمعاهدات

في تاريخ العرب والإسلام

بقلم : محمد عبد الغني حسن

يلاحظ ان « صلح الحديبية » هو أول وثيقة دبلوماسية فى الاسلام ، بل هو أول مهادنة فى التاريخ الحربى للامة العربية الاسلامية . وتعد من الناحية السياسية ربحا عظيما للدولة الاسلامية الناشئة . فقد كان عقد هذه المهادنة فى السنة السادسة من الهجرة ـ أى بعد بضع عشرة سنةمن تاريخ نشأة الاسلام والدعوة اليه ـ ولهذا كان ما حققته من مكاسب ـ على الرغم من استعلاء قريش فيها وفى املائها ـ نجاحا كبيرا للدعوة الاسلامية الناشئة ، وللدولة الاسلامية الجديدة ، التى نجح محمد عليه السلام فى جعل قريش تعترف بها وبكيانها الجديد .

ولقد قام بين العرب بعضهم بعضا فى الجاهلية مهادنات ومعاهدات وصلوح ، كما قام بينهم وبين غيرهم من الامم الاجنبية المجاورة ، الا أن مهادنة الحديبية ـ وهى هدنة بين فريقين من العرب ـ لا تدانيها مهادنة أخرى من حيث الاهمية والخطورة والنتائج العظيمة التى ترتبت عليها .

ولقد كان النبى عليه السلام وهو على رأس المسلمين المؤمنين برسالته الجديدة طرفا أولفى هدنة الحديبية ، كما كانت قريش المشركة وعلى رأسها سهيل بن عمرو ، طرفا ثانيا فى هذه المهادنة وكانت هذه المعاهدة الاولى فى الاسلام مكتوبة مدونة ، ولم تكن صلحا شفويا يتفق عليه الطرفان المتعاقدان باللسان .

وقد تولى كتابة مهادنة الحديبية « على بن أبى طالب » من معسكر المسلمين ، كما قام بالشهادةعلى هذه الوثيقة جماعة من المسلمينوجماعة من المشركين دونت أسماؤهم جميعا فى ذيل الصحيفة ، وأشير قبل ذكر اسمائهم الى أنهم الذين اشهدوا على هذا الصلح .

وكان شهود هدنة الحديبية من المسلمين : ابوبكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بنعوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبى وقاص ومحمود بن مسلمة وكان بعض شهودها من مشركى قريش مكرز بن حفص .

وهكذا ترى فى أول وثيقة سياسية دبلوماسية فى الاسلام اسم كاتبها واسماء شهودها من الطرفين المتعاقدين ، مما عد تقليدا جرى عليه العمل بعد ذلك فى كتابة المعاهدات والمهادنات بين العرب وغيرهم ممن يتهادنون معهم ، أو بين فريقين منالعرب المسلمين اتفقوا على الصلح والمهادنة ، كما حدث بين الامام على بن أبى طالب وبين معاوية حين نوزع الخليفة الرابع على الخلافة .

وقد جعل كتاب الدواوين وشيوخ كتابة الوثائق الاشهاد على عقود الهدن وعهود المصالحات شرطا ضروريا فى كتابة عقد الهدنة ، ومن أول من دعا الى ذلك الكاتب الديوانى على بن خلف بن عبد الوهاب صاحب كتاب « موارد البيان » ـ وهو من كتاب القرن الثامن الهجرى ، ثم تابعه على هذا الكاتب المصرى القلقشندى صاحب « كتاب صبح الاعشى » الذى نقل كثيرا مما كتبه ابن خلف وصاحب كتاب « التعريف » فى هذا الشأن ، ويقول صاحب الصبح فى هذا : (ومنها ان يقع الاشهاد على كل منالمتعاقدين بذلك . ولا بأس باثبات ذلك . وقد جرت العادة انه يشهد على كل ملكجماعة من أهل دولته، ليقضى على ملكهم بقولهم ، وان كان مخالفا فى الدين . وقد ثبت فى الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم اشهد على مصالحته مع قريش رجالا من المسلمين ، ورجالا من المشركين) .

ويقصد صاحب صبح الاعشى بهذه المصالحة صلح

الحديبية ، فهي المصالحة الاولى والاخيرة مع المشركين، وان كان للنبي عليه السلام غير ذلك معاهدات ومصالحات مع اهل ايلة ، واهل اذرح ، واهل مقنا، ومع نصارى نجران ، ومع يهود خيبر ، ومع يهود المدينة ، ومع بني عاديا من يهود تيماء وغيرهم .

وقد يكون الشهود على الصلح او المهادنة او المعاهدة أو صلح الامان من طرف واحد، وهو الطرف الذي أعطى العهد ، وأخذ على نفسه الموثق ، وتكون الشهادة هنا توكيدا للعهد وتوثيقا له . كما في الرواية الاخرى لمعاهدة النبي مع اهل خيبر والمقناء فقد شهد عليها من جانب المسلمين عمار بن ياسر ، وسلمان الفارسي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو ذر الغفاري . ولم يذكر في هذه الوثيقة شهادة واحد من الطرف الآخر غير المسلم .

والشهود عادة لا يقلون عن اثنين ، وقد يبلغون العشرات كثرة . ولم نجد ـ فيما نعلم ـ صلحا او مهادنة اسلامية عربية شهد عليها شاهد واحد وحسب . فان الشهادة في الاسلام لاتقوم الا على رجلين ، وفي بعض الاحوال ، على رجل وامرأتين .

ومن المهادنات والصلوح العربية التي شهد عليها شاهدان اثنان : عهد النبي عليه السلام لوفد ثمالة من اهل عمان ، فقد كتب الصحيفة ثابت بن قيس، وشهد عليها اثنان هما : سعد بن عبادة ، ومحمد ابن مسلمة .وكذلك العهد الذي كتبه عمر بن الخطاب لاهل نجران في خلافته حين اجلاهم عن أرضهم ، فقد شهد عليه اثنان : هما عثمان بن عفان ، ومعيقيب الذي كان كاتبا وشاهدا معا . وكذلك العهد الذي كتبه النبي عليه السلام لأهل جرش ، فقد كان شاهداه اثنين : عمر بن الخطاب ، ومعاوية بن ابي سفيان ، الذي قام بدور الكتابة له والشهادة فيه .

اما المعاهدات الاسلامية التي شهد فيها ثلاثة فمنها العهد الذي كتبه النبي عليه السلام للداريين ، وقد كان شهوده العباس بن عبد المطلب ، وخزيمة ابن قيس ، وشرحبيل بن حسنة .

ومن العهود والوثائق الاسلامية التي شهد عليها أربعة ، العهد الذي كتبه النبي عليه السلام لبني جعيل من قبيلة بلى ، فقد شهد عليه اربعة هم : العباس ابن عبد المطلب ، وعلى بن ابي طالب ، وعثمان بن عفان وأبو سفيان بن حرب .

وتصادفنا وثيقة سياسية في زمن النبي عليه السلام شهد عليها خمسة من الرجال ، وهي معاهدة النبي مع نصارى نجران ، فقد شهد عليها أبو سفيان ابن حرب ، وغيلان بن عمرو ، ومالك بن عوف ، والاقرع بن حابس الحنظلي ، والمغيرة بن شعبة .

اما العهود الاسلامية لغير المسلمين التي شهد عليها كثير من المسلمين فهو العهد الذي كتبه النبي عليه السلام للسيد بن الحارث بن كعب واهل ملته من النصارى ، وقد قام معاوية بن أبي سفيان بكتابته وشهد عليه أكثر من ثلاثين شاهدا من المسلمين .

وهم : ابو بكر الصديق ، وعثمان بن عفان ، وعمر ابن الخطاب ، وعلى ابن ابي طالب ، وابو ذر ، وابو الدرداء ، وأبو هريرة ، وعبد الله بن مسعود ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ، وثمامة بن قيس ، وزيد ابن ثابت ، وولده عبد الله ، وزيد بن ارقم ، واسامة ابن زيد ، وعمار بن مظعون ، ومصعب بن جبير ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وأبو حذيفة ، وخوات ابن جبير ، وهاشم بن عتبه ، وعبد الله بن خفاف ، وكعب بن مالك ، وحسان بن ثابت وجعفر بن ابى طالب .

وفي بعض الوثائق والمعاهدات والهدن الاسلامية لا يدون الكاتب اسماء الشهود الحاضرين في الوثيقة بل يكتفي بعبارة تدل على شهودهم وحضورهم في المجلس دون ذكر لاسمائهم . وقد حدث هذا في العهد الذي كتبه النبي صلى الله عليه وسلم لقبيلة خثعم ، فقد جاء في ذيله هذه العبارة : « شهد جرير ابن عبد الله ومن حضر » . كما حدث مرة أخرى في العهد الذي كتبه عليه السلام لأكيدر واهل دومة الجندل ، فقد جاء في آخره : « شهد الله ومن حضر من المسلمين » .

ويلاحظ هنا الاشهاد على العقد والعهد بالله ، والاشارة الى أن الله شاهده .. وحسبكم من عهد يؤكده الله ويوثقه بشهادته التي لانقض لها ، ولامفر منها ؟ وفي هذا ابلغ توثيق لكتابة العهود والمهادنات في الاسلام .

ولعل أكثر ما رأيناه من العهود والمهادنات الاسلامية عدد شهود هو ذلك العهد الذي وقع بين الامام على بن ابي طالب وبين معاوية بن أبي سفيان في قضية التحكيم التي قامت بينهما لانهاء حالة الحرب التي وقعت بين فئتين من المسلمين . فقد كان لابن عم رسول الله وخليفته الرابع من بعده أنصاره ومؤيدوه ، وكان لمعاوية أنصاره من أهل الشام . واشترك رجال من كل فريق من الفريقين في الشهادة

على العهد الذى قام بين الطرفين للصلح . فكان من شهوده من أصحاب على كرم الله وجهه : الاشعث بن قيس ، وعبد الله بن عباس ، والاشتر بن الحارث ، وسعيد بن قيس الهمدانى ، والحصين بن الحارث بن المطلب ، واخوه الطفيل بن الحارث ، وابو اسيد بن ربيعة الانصارى ، وخباب بن الارت ، وسهل بن حنيف الانصارى ، وأبو اليسر بن عمرو الانصارى، ورفاعة بن رافع بن مالك وتسعة عشر شخصا غير هؤلاء لاداعى لذكر اسمائهم هنا لضيق المقام .

وكان من شهوده من أصحاب معاوية بن ابى سفيان واحد وثلاثون رجلا منهم : حبيب بن مسلمة ، ومعاويه بن حديج الكندى ، وعبد الرحمن بن خالد ابن الوليد المخزومى، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعلقمة بن يزيد الحضرمى، وعبد الله بن عامر القرشى، ومروان بن الحكم ، وعلقمة بن حكيم ، والوليد ابن عقبة القرشى ، وعقبة بن أبى سفيان ، ومحمد ابن عمرو بن العاص ، وبسر بن اطاة القرشى وغيرهم .

ونلاحظ فى المعاهدات والمهادنات الاسلامية الاولى تردد أسماء جماعة من شهود المسلمين على اكثر من عقد أو صلح أو معاهدة ، فمن أسماء الشهود التى تتردد : أبو بكر الصديق ، وعثمان ابن عفان ، والعباس بن عبد المطلب عم النبى عليه السلام ، وشرحبيل بن حسنة ، وعلى بن ابى طالب وعمر بن الخطاب ، ومحمد بن مسلمة الأنصارى ، والمغيرة بن شعبة .

كما نلاحظ ان من كتاب هذه العهود والمهادنات جماعة اسلامية عرفت بالكتابة واشتهرت بها ، منهم ، على بن ابى طالب ، ومعاوية ، وعبد الله بن أبى بكر الصديق ، والمغيرة بن شعبة ، وثابت بن قيس ، والعلاء بن عقبة ، والارقم ، وجهيم بن الصلت ومحمد بن مسلمة الانصارى .

« محمد عبد الغنى حسن »

ذكرى ابراهيم ناجى

للشاعر السودانى ابو القاسم عثمان

يا شعاعا تائها خلف الضباب ... ومنى ترتاح فى كف العدم
هرم الصبح وجافانا الشباب ... وزهقت آمالنا رغم الالم
لم نذق طعم الحياة المستطاب ... وشقينا بالتمادى فى الضرم
ونسينا كاسنا والحببا !

عطر الله لثراك الانضرا ... كيف يحوى القبر احساس الحياه؟!
ضعت فى الترب شعاعا اخضرا ... وسرت فيه عيون ومياه ...
ذاك دفاق يمج الكوثرا ... فى ضريح سحب الذيل وتاه ...
نام فيه من اقام الأدبا

ناج اطيافا له تندبه ... فى الليالى فى (ليالى القاهره)
انها ما فتئت تطلبه ... تتسالى من رؤاه العاطره
سيظل الدهر يحدو ركبه ... بالأناشيد الرقاق الفاخره
ذاك دين رده قد وجبا

يا رياحا عذبة خلف (الغمام) ... اين بالله كنار صدحا
اين ابراهيم يشدو بالغرام ... غامض من سره ما وضحا !
اين تخفاق وشوق وهيام ... حلم لاح ووهم جنحا
بقى الشعر و « ناجى » ذهبا

"الشورى... وتطبيقاتها في صدر الاسلام"

بقلم: فتحي عثمان

- ٣ -

تقرأ للاستاذ احمد عباس صالح في مجلة (الكاتب) عن الشورى في حياة رسول الاسلام :

« وفي حياة النبي **كان رجاله المقربون هم المستضعفون** وعلى رأسهم علي بن أبي طالب الذي لم يفارق النبي لحظة من حياته ، الا أن **السياسة العليا لتثبيت دعائم الدولة الجديدة اقتضت الا يدخل في مجلس الشورى** ، الذي لانعرف **بالضبط ما هي الصورة الرسمية التي تشكل على اساسها** ، فكل ما نعرفه انهم كبار المسلمين من حيث مركزهم القبلي والسياسي والذين تسري كلمتهم بالنسبة لمن يمثلونهم ، ذلك أن الآثار القبلية لم تكن قد زالت تماما ، فليس العهد بينهم وبين الاسلام الا عشر سنوات لم تستطع أن تغير شيئا بعد في التقاليد القديمة الراسخة . **هذا المجلس لم يكن يضم من اليساريين الثوريين الا علي بن ابي طالب** ، اما بقية اليسار فكان من المستضعفين الذين لايملكون قوة من اي نوع الا ما امدهم به صدق اسلامهم ونضالهم من أجله ، وهؤلاء هم معلمو الاسلام الذين كان يوفدهم النبي للقبائل التي دخلت في الاسلام حديثا ليفقهوهم في الدين .. ومن هذه الناحية وحدها كانوا يستمدون مكانتهم ، وهي مكانة كانت كبيرة وتاثيرها كان خطيرا على المسلمين جميعا ، حتى على أعدائهم . **ولو تشكل مجلس الشورى ، او على الاصح لو كان ممكنا ان يتشكل المجلس ، منهم لسار الاسلام سيرة أخرى تماما . ولكن ما كان يمكن ان يتصدر مجلس الشورى رجال من امثال سلمان الفارسي او ابي ذر الغفاري او عمار بن ياسر او صهيب الرومي ، والقبيلة ما زالت في عنفوانها** ، واغلب هؤلاء أما مستضعفون واما عبيد من بلاد اجنبية .. وقد اكتفوا بهذا اللقب الخطير وهو (صحابة النبي) هؤلاء لم يدخلوا مجلس الشورى ولم يكن منهم رجال الحل والعقد ، **بل لعل المجلس لم يتشكل تشكيلا رسميا في عهد النبي** ، انما استنبطت شروطه بطريقة اجتهادية لعبت فيها السياسة دورا كبيرا . والارجح أن النبي لم يشكل هذا المجلس ليفرضه على المسلمين ، **وليس هناك ما يؤكد ان اهل الحل والعقد هم هؤلاء الصحابة من كبار رجال المال مثل** طلحة والزبير وعبد الرحمن ابن عوف وغيرهم ممن كانت تعد ثرواتهم أيام عثمان بالملايين ، انما هم كانوا اكبر المسلمين سلطة على قبائلهم وبحكم مراكزهم الاجتماعية كان الرسول يقربهم **ويستشيرهم كما يستشير غيرهم ولو كان العمر قد امتد بالنبي لوجدنا نظاما ثابتا ومحددا للشورى من حيث التطبيق العملي** . أما النص على الشورى فثابت في القرآن كمبدأ عام من المبادىء الأساسية في الاسلام .... » (ص ٤٣ ـ ٤ ع ٤٦)

هنا يحدد الكاتب وجود مجلس للشورى اقتضت السياسة العليا الا يدخله علي بن ابي طالب ، وان كانت لاتعرف الصورة الرسمية لتشكيله .... ويعود بعد سطور قليلة فيشير الى دخول «علي» هذا المجلس دون غيره من اليساريين الثوريين ... ثم يأتي في النهاية على ماقدمه فيذكر أنه ليس هناك مايؤكد أن أهل الحل والعقد هم هؤلاء الصحابة من كبار المال وأن النبي كان يستشيرهم كما يستشير غيرهم ، وأنه لم يكن في عهد النبي نظام ثابت محدد للشورى !!

وهو يؤكد ان الرجال المقربين لرسول الاسلام كانوا هم المستضعفون .. ولست أدري لماذا لم

يجعلهم اذن أهل شوراه ــ وفقا لمنطق الكاتب ، وما كان أحد من المسلمين ليجرؤ على مخالفته وهو يقرأ قول الله « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم » !!

ورجل كأبي بكر مثلا ... ألم يكن مقربا الى رسول الله ؟؟

وسعد بن أبي وقاص الذي قال عنه النبي : هذا خالي ، ودعا له باجابة الدعوة ؟

وعثمان : « الذي تستحي منه الملائكة » ــ كما وصفه رسول الله ؟؟

كل هؤلاء ... وسائر العشرة المبشرين بالجنة.. وغيرهم من أقطاب العرب المبرزين الذين أسلموا ، من مهاجرين وأنصار ... الم يكونوا مقربين الى رسول الله ؟؟

ولنحاول أن ندرس « **الشورى** » **في عهد رسول الاسلام ...**

● « ان دعائم الحكومة في الاسلام هي الشورى ومسئولية أولي الأمر واستمداد الرئاسة العليا من البيعة العامة ... وقد قضت الحكمة أن تقرر هذه الدعائم غير مفصلة، لأن تفصيلها مما يختلف باختلاف الأزمنة والبيئات ، فالله أمر بالشورى وسكت عن تفصيلها ليكون ولاة الأمر في كل أمة في سعة من وضع نظامها بما لا يلائم حالهم ... »
(عبدالوهاب خلاف : السياسة الشرعية ص ٢٨-٢٩)

هذه هي الحقيقة الأولى كما قررها الأستاذ عبد الوهاب خلاف رحمه الله .. وقد انتهى اليها الكاتب بعد لأي !!

● تأتي الى الصورة التطبيقية ... أورد ابن كثير في تفسير قوله تعالى « وشاورهم في الأمر » من سورة آل عمران : **ان رسول الله كان يشاور أصحابه ، شاورهم يوم (بدر) في الذهاب الى العير ، وشاورهم أيضا أين يكون المنزل** حين أشار المنذر بن عمرو بالتقدم أمام القوم ، **وشاورهم في (أحد)** أن يقعد في المدينة أو يخرج الى الكفار المهاجمين فأشار جمهورهم بالخروج اليهم فخرج اليهم ، **وشاورهم يوم (الخندق)** في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ ، وأبى عليه سعد ابن معاذ وسعد بن عبادة فترك ذلك ، **وشاورهم** يوم (**الحديبية**) في أن يميل على ذراري المشركين فقال له الصديق : انا لم نجيء لقتال وانما جئنا معتمرين فأجابه الى ماقال ، **وقال صلى الله عليه وسلم في (قصة الافك) اشيروا علي** معشر المسلمين في قوم أبنوا أهلي ورموهم ؟ **واستشار عليا وأسامة** في فراق عائشة . فكان صلى الله عليه وسلم **يشاور في الحروب ونحوها .**

وواضح من هذا أن الرسول لم تكن له (هيئة) شورية ثابتة ، **وانما كان يستشير وفقا للمناسبات من كان يحضره** من الصحابة دون استثناء !!

● ولننمض الى تفصيل أدق ، فنعرض لواقعة من وقائع مشاورة النبي لأصحابه :

في غزوة بدر « .... اتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم **فاستشار الناس** ، وأخبرهم عن قريش . فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام **المقداد بن عمرو فقال** : يارسول الله : امض لما أراك الله فنحن معك ... ثم قال رسول الله : اشيروا علي أيها الناس ، وانما يريد الأنصار ... وكان يتخوف الا تكون الأنصار ترى عليها نصره الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم الى عدو من بلادهم . فلما قال ذلك رسول الله قال **سعد بن معاذ** : والله لكأنك تريدنا يارسول الله ، قد آمنا بك وصدقناك وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك .. فسر رسول الله بقول سعد .... فخرج رسول الله يبادرهم الى الماء حتى اذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به . قال ابن اسحق : فحدثت عن رجال من بني سلمة انهم ذكروا أن **الحباب بن المنذر بن الجموح قال** : يارسول الله ، ارايت هذا المنزل ، امنزلا أنزله الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال رسول الله : لقد أشرت بالرأي ... » سيرة بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نغور ماوراءه ، من القلب ، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله : لقد أشرت بالرأي ... » ، (سيرة ابن هشام ــ ٢ ص ٢٦٦ ــ ٧ ، ٢٧٢) .

وهكذا كان **يشاور رسول الله من حضره من**

صحابته وفقا للمناسبات ، وكان يتقدم بالمشورة اى شخص يجد لديه رايا يريد ان يتقدم به ، وكان الرسول يقبل الراى السديد ولا يسال عن منزلة صاحبه وطبقته الاجتماعية ...

وفى غزوة الأحزاب اشار **سلمان الفارسي** على رسول الله بحفر الخندق حول المدينة لتحصينها ، ولم يكن هذا الاسلوب فى الحرب من عادة العرب ، فاقر الرسول الراى وشرع فى انفاذه .

وفى الحديبية ، شكا الرسول من تباطؤ المسلمين عن انفاذ أمره فى أداء المناسك من حلق ونحر ، فقالت له زوجته **أم سلمة** : يا رسول الله انهم رأوا أمرا فى الله فلم ينالوه ، فكان حزنهم لما فاتهم من امر الله ، فان أردت أن تحملهم على طاعة الله ورسوله فاخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنتك وتدعو حالقك فيحلقك . فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم كلمة حتى نحر بدنته ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا .

● واذا كان لم يوجد تشكيل (رسمى) - على حد تعبير الكاتب - لهيئة ثابتة محددة للشورى فى عهد الرسول ، وانما استنبطت شروطه بطريقة اجتهادية لعبت فيها السياسة دورا كبيرا - على حد تعبيره أيضا - فاننا لا نجد فى هذه الشروط ما يقيم اعتبارا للمركز الاجتماعى .

فالماوردى مثلا (٤٥٠ هـ) يذكر أن الامامة تنعقد باختيار أهل العقد والحل ، فأما أهل الاختيار فالشروط المعتبرة فيهم ثلاثة : أحدها العدالة الجامعة لشروطها ، والثانى العلم الذى يتوصل به الى معرفة من يستحق الامامة على الشروط المعتبرة فيها ، والثالث **الراى والحكمة** المؤديان الى اختيار من هو للامامة أصلح وبتدبير المصالح أقوم وأعرف وليس لمن كان فى بلد الامام على غيره من أهل البلاد فضل مزية تقدم بها عليه ، وانما **صار من يحضر ببلد الامام متوليا لعقد الامامة عرفا لا شرعا ، لسبوق علمهم بموته ولأن من يصلح للخلافة فى الأغلب موجودون فى بلده** » (الماوردى : الاحكام السلطانية ص ٦)

● هذه هى (الشورى) فى عهد رسول الله ... « زعيم اليسار وواضع مبادئه » .... كما يقول الكاتب !

ونحن نقرأ مثلا للدكتور طه حسين أن عمر « اتخذ من **خاصة أصحاب النبى** مجلسا **يوشك** أن يكون مجلس شوراه ، ولو قد مد له فى العيش لكان خليقا ان يضطرهم الى أن يرضوا بهذه المنزلة فيكونوا أصحاب الحل والعقد ، يشيرون على الخلفاء دون ان يدخلوا فى أمور الحكم التفصيلية من قريب أو بعيد (طه حسين : الفتنة الكبرى ص ٤٧) .

واذا كان مجلس الشورى كهيئة ثابتة محددة لم يتقرر فى عهد عمر ، فهو من باب أولى لم يتقرر فى عهد الرسول ...

وقد انتهى الكاتب الى شىء من ذلك بعد عناء... وبعد حديث عن المستضعفين واليساريين الثوريين.. أبرم فيه أمورا وأطلق دعاوى ، ثم عاد ينقض ماأبرمه ويقيد ما أطلقه ... فماذا يدعو الى تقديم القول عن « مجلس للشورى » يضم كبار المسلمين من حيث مركزهم القبلى والسياسى ، ذلك أن « الآثار القبلية لم تكن قد زالت تماما » ، ويستثنى الكاتب من عضويته تارة على بن ابى طالب اذ « أن السياسة العليا لتثبيت دعائم الدولة الجديدة اقتضت الا يدخل فى مجلس الشورى » وتارة أخرى يستثنى الكاتب من عضوية هذا المجلس « اليساريين الثوريين عدا على بن أبى طالب » !! ... ماذا يدعو الى تقديم هذا كله ، اذا كانت النهاية التى خلص اليها الكاتب انه « ليس هناك مايؤكد ان اهل الحل والعقد هم هؤلاء الصحابة من كبار رجال المال انما هم كانوا أكبر المسلمين سلطة على قبائلهم ، وبحكم مراكزهم الاجتماعية كان الرسول يقربهم ويستشيرهم كما يستشير غيرهم ، ولو كان العمر قد امتد بالنبى لوجدنا نظاما ثابتا ومحددا للشورى من حيث التطبيق العملى ... » !!

بل ان الكاتب قد انتهى الى ماهو اقطع واصرح فى الحلقة الثانية من مقاله حيث قال « ... وسنرجع أيضا لمجلس الشورى ، وهو **مجلس لم يكن موجودا بصفة رسمية ولا بصفة غير رسميه فى عهد الرسول ، انما هو مجلس اوجده عمر ليتولى ترشيح الخليفة** او اختياره بصورة أدق . وقلنا ان هذا المجلس لم يكن فيه من يمثل اليسار الا عليا ولم يكن له وظيفة رسمية الا اختيار الخليفة فى مدة حددها عمر هى ثلاثة ايام ، اما فيما عدا ذلك فالخليفة يستشير فى أمور الدولة من يستشيرهم سواء من هذا المجلس أو من غيره ... ص ٢٥ - ع ٤٧ » !

« **فتحى عثمان** »

(**للبحث بقية**)



تفسيرات خاطئة لنصوص القرآن

لعل من الخير أن أتوج هذا البحث بكلمة السيد الرئيس الواردة فى الميثاق عن تكوين الأسرة بأنها - أساس المجتمع .

وفى هذه الصفحات المحدودة لن أناقش فيها « قضية المرأة والرجل » لأن المقام لا يسمح بمثل هذه المناقشة التى ربما يستغرق بحثها فصولا بل كتبا بأسرها .

ولقد دفعنى الى الكتابة فى هذا الموضوع ما عالجتنى قراءته فى زحمة الآراء التى تصدت لمعالجته باعتباره موضوعا خطيرا يمس كيان الناس وحياتهم ..

وقد دس أناس أنوفهم فى هذه القضية الحيوية دون تثبت أو فهم صادق لهذا الموضوع الخطير .... ولكن قبل أن نسترسل فى هذا البحث يجب أن نقرر أنه من الحقائق الثابته أن الاسلام احترم حرية الفرد وارادته بغض النظر عن نوعه .... ولكنه يعلن أيضا فى صراحة تامة أنه اذا كان هناك ثمة خلاف فى الرأى فتكون كلمة الفصل فيه لله ورسوله .

وحول هذه القضية التى أشرنا اليها نشطت أجهزة الاعلام بأنواعها - من اذاعة وصحافة - نشاطا محمودا يذكرلها بالفضل الجميل والثناء المحمود... وكان من مظاهر هذا النشاط أننا رأينا الندوات وقرأنا فى الصحف الكثيرة من آراء الرجال الفضلاء والسيدات الفضليات .

وكان من بين ما نشر فى الصحف اليومية ما قرأه الناس بجريدة الأخبار الغراء فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٦٥/٢/١٤ على الصفحة الرابعة تحت هذا العنوان : « المرأة تعثر فى كتب الفقه على أن تعدد الزوجات حرام فى الاسلام » ، أقول : قرأ الناس العبارة السابقة : ولكن ما هى حقيقة المشكلة التى تواجهها المرأة ؟ لعلها مجرد نصوص جامدة لاتتفق مع التطور الموضوعى الذى حققته المرأة ؟ ... ثم تذكر الصحيفة آراء هؤلاء الثلاثة :

١ - انجى أفلاطون - مؤلفة كتاب « نحن النساء المصريات » .

٢ - فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى - عميد كلية الشريعة السابق .

٣ - الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله - الأستاذ بالجامعة .

وتنقل لنا الصحيفة رأى صاحبة كتاب « نحن النساء المصريات » ، ونصه : « ان الاسلام يدين تعدد الزوجات .... أو على الأقل هذا رأى فقهاء كثيرين، منهم المعتزلة قديما .. وكثير من الفقهاء المحدثين .

وتقول : ان المرحوم عبد العزيز « باشا » فهمى رئيس محكمة النقض الأسبق وأحد أساطين الفقه أعلن صراحة فى بحث قيم أن تعدد الزوجات حرام ، وأن تعدده محظور فى الاسلام ... ولكن كل قاعدة لها استثناء ، وكما تبيح الضروريات المحظورات فان قاعد التحريم هذه يرد عليها استثناء ... ويقدر هذا الاستثناء الحاكم .. واورد عبد العزيز فهمى أكثر من حجة لتدعيم رأيه ... ان الآية الكريمة التى تقول : « وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » . ان هذه الآية ليست واردة لتحديد عدد الزوجات بل قصد بها تقريع من يتزوجون باليتيمات اللاتى فى رعايتهم .

- ان تعدد الزوجات من الأمور الأساسية والقرآن أجل من أن يأتى بهذا الشأن الأساسى بصفة عرضية .

- ان القرآن استعمل كلمة « ما طاب لكم » ولم يستعمل كلمة « أحل لكم » .. والطيب قد يكون حلالا وقد يكون حراما .

- ان عبارة مثنى وثلاث ورباع ، لم يقصد بها التعدد ، والا كان التعدد يصل الى تسع زوجات و ١٨ زوجة ، لأن الأعداد معطوفة على بعضها بـ « الواو » ، اذا أريد بها فهم الآية فهما حرفيا ، وانما القصد بها هو الاستهزاء بالمتزوجين باليتيمات لتماديهم فى أكل أموالهم .

حول تنظيم قانون الأسرة

للدكتور جوده هلال

ـ ان القرآن أبقى على التعدد القائم بالنسبة للماضى ، أما بالنسبة للمستقبل فقد حرمه ٠٠ فالاصل فى الاسلام الزواج الفردى ٠

هـذا هو رأى انجى افلاطون نقلته بامانة عن الصحيفة اذ هو أخطر الآراء وأجدرها بالمناقشة ومبادلة الرأى ٠٠٠٠ وستكون مناقشتنا لهـذا الموضوع مناقشة هادفة ٠٠ أساسها اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم والنصوص الصريحة والأحاديث النبوية الشريفة ٠

وبعد ـ فنقول : ان مؤلفة كتاب « نحن النساء المصريات » احتجت بالآية الكريمة : « وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » وهى الآية رقم ٣ من سورة النساء ٠٠٠ ومعنى « انكحوا » أى تزوجوا ٠٠٠٠ يقول ابن منظور صاحب كتاب «لسان العرب» تحت مادة (نكح) لا يعرف شىء من كتاب الله تعالى فى ذكر النكاح الا على معنى التزوج ٠٠٠ يقول الله تعالى « وانكحوا الأيامى منكم » ٠٠ ويقول : « يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات » فهـذا تزوج لا شك فيه ٠

ومعنى « ما طاب لكم » أى ماحل لكم من النساء كما يقول أعلام الفقهاء والمفسرين أمثال أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى صاحب التفسير المشهور المسمى « بالجامع لأحكام القرآن » ٠٠ وكما يقول أيضا جار الله الزمخشرى صاحب الكشاف ـ وهو من كبار رجال المعتزلة وشيوخهم ـ فى تفسيره لهذه الآية ٠

فاذا مارجعنا الى المعاجم اللغوية مثل « لسان العرب لابن منظور المصرى والقاموس المحيط للفيروزبادى لم نجد « الطائب » أبدا لمعنى الحرام ٠٠ وانما الذى ذكرته هذه المعاجم تحت مادة « طيب » ان أكثر مايرد الطيب بمعنى الحلال كما أن الخبيث كناية عن الحرام ٠٠ وقد يرد الطيب بمعنى الطاهر ٠٠ ومنه الحديث الذى ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمار : مرحبا بالطيب المطيب ، أى الطاهر المطهر ٠٠ وتأتى بمعنى الحسن ، يقول الله تعالى : « وهدوا الى الطيب من القول » ٠٠ ويقول : « اليه يصعد الكلم الطيب » ٠ وتأتى بمعنى الخير ٠٠ قال الله تعالى : « وبلدة طيبة » أى آمنة كثيرة الخير ٠٠ واطاب الشىء وطيبه واستطابه : وجده طيبا ٠٠ واطاب : تزوج حلالا ٠٠ هـذا هو ماتذكره كتب اللغة ومعاجمها ٠٠ وهذه اللغة هى التى نزل بها القرآن الكريم ٠٠ يقول الله تعالى : « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين » ٠ فمن أين جاءوا بكلمة « الطائب » بمعنى حرام ، أو على حد قولهم : الطائب يكون حلالا ويكون حراما ؟

وقوله تعالى : « مثنى وثلاث ورباع »

فان الزمخشرى يحرر هذا المقام بقوله : ان مثنى وثلاث ورباع » معدولة عن أعداد مكررة ، والتقدير فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين ، وثلاثا ثلاثا ، واربعا أربعا ٠

ـ فاذا عن لمعترض هذا السؤال : مـا معنى التكرير فى مثنى وثلاث ورباع ؟ فالجواب :أن الخطاب هنا للجميع ، فوجب التكرار ليصيب كل متزوج يريد الجمع بين العدد الذى أطلق له ٠٠ ومثال ذلك ان تقول للجماعة من الناس » اقتسموا هذا المال بينكم قرشين قرشين ، وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ، ولو أفرد لم يكن لكلامه معنى ٠

ـ ويثير الزمخشرى سؤالا آخر ٠٠ فيما لوقال قائل : لماذا جاء العطف بـ « الـواو » دون العطف بـ « أو » التى تفيد التخيير ؟

ـ والجواب : أنه لو جاء العطف بـ « أو » لذهب

معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذي دلت عليه « الواو » .

وأما أبو عبد الله القرطبي فيزيد الامر وضوحا كعادته فيقول ما ملخصه : ان هذا العدد لا يدل على اباحة تسع نسوة ، أو ثمان عشرة امرأة ـ كما قاله من بعد فهمه للكتاب والسنة ، واعرض عما كان عليه سلف هذه الأمة ـ وزعم أن « الواو » جامعة بين المعطوفات .. وأن من صار الى هذه الجهالة هم الرافضة .... ـ وهم كما يصفهم العلامة أبو محمد ابن حزم القرطبي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ فيلسوف الأندلس ومؤسس المدرسة الظاهرية بها في كتابه المعروف باسم « الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٢ ص ٧٨ ، ص ٨٠ بقوله : والروافض ليسوا من المسلمين ، وانما هي فرقة حدثت بعد موت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بخمس عشرة سنة ، ويزعمون أن علي بن أبي طالب اله خالق ، وبعضهم يتنازل بعض الشيء ويدعى أنه نبي ناطق ، او على الأقل هو امام معصوم مفروضة طاعته ، وأن الشمس قد ردت عليه مرتين ، وهذا هو أقل مراتب درجاتهم في الكذب .

هؤلاء الرافضة هم الذين جعلوا مثنى مثل اثنين ، وكذلك ثلاث ورباع ... وهذا جهل صريح باللغة ، وفهم خاطىء للسنة ، ومخالفة صريحة لاجماع الأمة ... اذ لم يسمع عن أحد من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ولا من التابعين أن جمع في عصمته اكثر من أربع نسوة .

وهذا مالك بن انس امام اهل المدينة قد اخرج في موطئه .. واتفق معه النسائي والدارقطني في سننهما أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لغيلان بن أمية الثقفي وقد أسلم وتحته عشر نسوة : « اختر منهن أربعا وفارق سائرهن » ، وجاء في كتاب أبي داود عن الحارث بن قيس أنه قال: أسلمت وعندى ثماني نسوة ، فذكرت ذلك للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : « اختر منهن أربعا » .

وأما دعوى أن « الواو » جامعة بين المعطوفات .. فان الذوق العربي يأبى أن يقول : اثنين وثلاثة وأربعة ويقصد بذلك رقم «تسعة» دون التلفظ بهذا الرقم المقصود ... كما أن العرب كانت تستقبح أن تقول مثلا : اعط هذا الرجل أربعة ستة ثمانية ، اذا كان القصد اعطاء ثمانية عشر . دون التلفظ بهذا الرقم المقصود وهو الرقم ١٨ .

ولكن الفهم الصحيح للعطف بـ « الواو » في هذا الموطن أن تكون (بدلا) .. وعليه يكون المعنى : انكحوا ثلاثا بدلا من مثنى ، ورباعا بدلا من ثلاث . وهنا كانت نكتة العطف بـ « الواو » دون « أو » .

هذا ـ واذا لم يكن فيما ذكرناه مقنع ، فاننا نلتمس أسباب نزول الآية الكريمة :« فانكحوا ماطاب لكن من النساء » ، علنا نجد فيها مايكشف الغمه ، ويزيل الصدأ ، ويعين على نوائب الدهر .

يقول الامام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري في كتابه « أسباب نزول القرآن » عن عائشة في قوله تعالى : « وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، قالت : انزلت هذه في الرجل يكون له اليتيمة ـ وهو وليها ـ ولها مال ، وليس لها أحد يخاصم دونها ، فلا ينكحها ، اي يزوجها ـ حبا لمالها ، ويضربها ويسيء صحبتها ، فقال الله تعالى : « وان خفتم » الآية ، اي ما أحللت لك ودع هذه . رواه مسلم عن أبي كريب عن أبي أسامة عن هشام .

وأخيرا ... فانه اذا كان تعدد الزوجات (حرام) في الاسلام ، وأن كلمة « الطائب » قد يكون معناها الحلال كما قد يكون معناها الحزم على ما ذهب اليه المتفيهمقون والمتفيهقات وأرباب الأفكار الجديدة وادعياء التجديد فاننا نثير بعض الاسئلة :

أولا : ما هو الحال في الزيجات التي وقعت على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحب الشريعة ؟

ثانيا : ما هو الراى في عقود الزواج التي وقعت منذ عهد الرسول حتي اليوم ـ أهي عقود صحيحة او باطلة ؟

ثالثا : ما هو الحكم في الأولاد الذين كانوا ثمرة لهذه العقود ؟

رابعا : والسؤال موجه الى الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله الأستاذ بالجامعة ، ما قولكم دام فضلكم في المجتمعات التي لاتبيح التعدد ؟ أهي مجتمعات سليمة من الهزات الأخلاقية ؟ فهل ياقوم من جواب !

دكتور
جودة هلال



أين هدى الاسلام فى تقاليدنا ؟

بقلم : محمد عبد الله السمان

تحت عنوان : ماساة روميو وجوليت تتكرر فى طهطا ، كتبت المحررة الأستاذة نادية العسقلانى على صفحات اخبار اليوم ، قصة شاب وشابة حرمتهما التقاليد من الزواج ، وجمعهما قبر واحد .

وملخص القصة ان الفتى والفتاة ابنا عم ، عاشا فى بيت واحد ، وجمع الحب العف بينهما ، وكان كلاهما يكتم هذا الحب العف فى أعماق قلبه ، لان التقاليد الموروثة لا تسمح لمثله أن يبدو حتى على صفحات الوجوه ، وكانت أم الفتاة تعلم الحب المتبادل فى براءة بينهما وباركته حتى تسنح الفرصة لاتمام الزواج ، وفوجئت الاسرة بالاب يحمل اليها نبأ خطبة ابنته الى أحد الاثرياء ، وساد الوجوم ، ولكن أحدا لم يجرؤ على المعارضة ، وكان النبأ صدمة للفتى والفتاة ، وكلما اقترب يوم الزفاف ازدادت الحسرة . وكانت العروس تذبل يومابعد يوم ، ولم تجرؤ الام على مفاتحة الاب خشية بطشه ، وجاء اليوم الموعود ، وزفت الفتاة الى عريسها ، ولم يتحمل الشاب الصدمة فترك البلدة هائما على وجهه ، ولم تتحملها الفتاة أيضا فسقطت فريسة المرض . وعاد ابن عمها ليعيش فى ذهول ، ويقصد قبرها يوميا ويبقى بجوارها ساعات طوالا كرمز للوفاء ، وحتى هذا الوفاء اعتبره الاب خدشا لشرفه ، فحمل فاسه ، ولم يكن يرى ابن شقيقه الى جوار القبر يبكي ، حتى انهال بالفاس على رأسه حتى فارق الحياة .

هذه هى القصة أو قل ان شئت المأساة ، هذه المأساة : لو وقعت فى عصر الجاهلية الاولى لكان لها ما يبررها من بيئة العصر نفسه ، ولكن ان تقع فى القرن العشرين ، وفى بيئة مسلمة تدين بالاسلام لهو الخطب الاكبر ، وليس المؤلم وحسب ان تقع مثل هذه المأساة ، ولكن المؤلم ايضا ، ان هذه الفئة من النسوة اللائى يزعمن أن لهن رسالة فى الدفاع عن حقوق المراة ، ويوهمن انفسهن بان الاسلام يعقد الامور ازاء هذه الحقوق ، وليس امامهن الا الطلاق وتعدد الزوجات ، فيصررن على الغائهما من التشريع ، مع أن الاسلام لا يراهما الا رخصتين يلجا اليهما المضطر ، ولو عقلت هذه الفئة من المتزعمات ، لوجهت كل نشاطها الى الغاء ما تبقى فى العقول من تقاليد الجاهلية الاولى ، فلم تزل الفتاة فى نظر كثير من الاسر فى الصعيد ، سلعة يتصرف فيها الاب كيفما شاء ، وتكون آخر من يعلم بشأن مستقبلها ، وهناك ما هو أدهى وأمر ، فقد يتفق والدان على زواج طفل وطفلة فى المهد ، وينفذ الاتفاق قبل أن يبلغ الطفلان اشدهما .

أجل ، لو وجهت هذه الفئة من المتزعمات نشاطها الى تقاليد الجاهلية الاولى ، لانتصرت بحق للمراة ، وحررتها من الرق الذى فرضته عليها هذه التقاليد ، ولوجدت من الاسلام الصحيح سندا لها ، ومعاونا على رسالتها .

فالطريقة التى يتم بها الزواج على أساس من الاجبار والاكراه طريقة لايمكن أن يقرها الاسلام بحال من الاحوال ، لأن الفقهاء يرون أن الركن الحقيقى للزواج ، هو رضا الطرفين ، وتوافق ارادتهما فى الارتباط .

والامام الشوكانى فى « نيل الاوطار » يرى ضرورة اعتبار الرضا من المراة التى يراد تزويجها ، وانه لابد من صريح الاذن من الثيب ، ويكفى السكوت من البكر **ويقول ابن المنذر** الفقيه المجتهد صاحب « **المبسوط** » فى الفقه والمتوفى ٣١٩ هـ : يستحب أعلام البكر ان سكوتها اذن « وبعض المالكية يرى ابطال العقد لو قالت البكر بعد العقد : ما علمت ان صمتى اذن » ويقول ابن شعبان من المالكية : يقال لها ذلك ثلاثا : ان رضيت فاسكتى ، وان كرهت فانطلقى »

قد يقول قائل : ان الولى فى العقد شرط لصحته، ويملك ان يسوق الينا حديث الرسول : « لانكاح الا بولى » ، وحديثه ايضا : أيما امرأة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل فنكاحها باطل

وعلى فرض صحة الحديثين المذكورين وقد تكلم فيهما ، لا يفهم منهما الا ان رأى الولى استشارى ليس الا ، والا فالاحاديث الصحيحة الثابته ان الاعتماد على رضا المراة بكرا كانت أم ثيبا ، ففى الصحيحين ان خنساء بنت خدام زوجها ابوهاوهى كارهة وكانت ثيبا ، فاتت رسول الله - صلوات الله عليه - فرد نكاحها ، وفى السنن : ان جارية بكرا اتت النبى ، فذكرت ان اباها زوجها وهى كارهة فخيرها . وقد جاءت فتاة الى رسول الله فقالت : يارسول الله : ان ابى زوجنى ابن اخيـه ليرفع بى خسيسته : فجعل الأمر اليها ، فقالت : قد أجزت ما صنع بى ، ولكن اردت ان اعلم النساء ان ليس الى الآباء من الامر شىء .

ويقول الامام الغزالى : الاحتياط فى حقها - اى المراة المرغوب فى الزواج منها - أهم ، لانها رقيقة بالنكاح ، لا مخلص لها ، والزوج قادر على الطلاق بكل حال .. وان كان كلام الغزالى منصبا هنا على ضرورة تعرف المراة على خاطبها لتطمئن على مستقبل حياتها ، فان الاحتياط فى مسالة رضاها اهم واحق .

هـذا والامام ابن القيم الجوزية فى الجزء الرابع من « زاد المعاد » بعد أن ساق الحديثين الصحيحين : « لا تنكح البكر حتى تستأذن » و « البكر تستأذن فى نفسها واذنها صماتها » عقب بقوله : وموجب هذا الحكم انه لا تجبر البكر البالغ على النكاح ولا تزوج الا برضاها ، وهذا قول جمهور السلف ، ومذهب ابى حنيفة واحمد فى احدى الروايات عنه ، وهو القول الذى ندين الله به ، ولا نعتقد سواه ، وهو الموافق لحكم رسول الله وامره ونهيه وقواعد شريعته ، ومصالح امته» ثم قال : ان البكر البالغة العاقلة الرشيدة لايتصرف ابوها فى اقل شىء من ملكها ، ولا يجبرها على اخراج اليسير منه بدون رضاها ، فكيف يجوز ان يرقها ويخرج بضعها منها بغير رضاها الى من يريده هو وهى من اكره الناس فيه ، وهو من ابغض شىء اليها ، ومع هذا فينكحها اياه قهرا بغير رضاها ؟ »

الحق ان التقاليد لم يزل لها اعتبارها ، لدى كثير من العقليات التى ترفض الاستجابة الى هدى الاسلام ، والاب الذى صنع المأساة بعقليته المتخلفة مسئول امام الله والمجتمع عن قتل نفسين بريئتين بغير حق ، وكوننا نكتفى بأن القضاء سيقتص منه لهذا المجتمع لا يحل المشكلة المستعصية التى تتمثل فى تقاليد الجاهلية الاولى ، فهذا الاب ليس آخر اب يتنكر لهدى الاسلام ويعتز بحماقته هو فهناك مئات الآباء بل آلاف منهم لم يزالوا فى حصانة من تقاليدهم الموروثة ، وقد شهدت بنفسى حادثة منذ اسابيع معدودة ، فقد خطبت فتاة فى السنة النهائية من الجامعة الى شاب دون ان تجرؤ حتى على السؤال عنه فضلا عن أن تراه فى جلسة عائلية لدقائق معدودة ، وحين طلبت شقيقتها وهى مدرسة ان تمكن من رؤيته لتطمئن شقيقتها ، ثار الاب ، وثار معه شقيقها وهو شاب جامعى لان التقاليد لا تسمح بمثل هذه الجراة ،

قال الشيخ سيد سابق فى الجزء السادس من فقه السنة :

« للمراة أن تنظر الى خاطبهـا ، فانه يعجبهـا منه مثل مايعجبه منهـا ، ثم ساق قول عمر :

« لاتزوجوا بناتكم من الرجل الدميم ، فانه يعجبهن منهم مايعجبهم منهن . »

وبعد ـ فان التقاليد الموروثة عن الجاهلية الاولى لم تزل فى حاجة الى اهتمام بالـغ ، ولن يعين على ازالتها والغائها من بعض العقليات المتخلفة سـوى هـدى الاسـلام ، واذا كانت وسـائل الاعلام على تعددها يفوتها أن تؤدى دورها فى القضاء على هذه التقاليد المستهجنة ، فأى عذر لوسيلة من وسـائل الاعلام ابلغ اثرا ، واشد تأثيرا ، واقوى نفاذا الى القلوب والعقول معـا ، واقصـد بالطبع خطبـة الجمعة ورسـالة الوعظ والارشاد ولا سيما فى بلاد الصعيد ، ومن يدرى فربما لم يسمع بهذه المأساة واعظ طهطا وأئمة مسـاجدها ، وأساتذة معهدها الدينى .

ان مهمة الواعظ الدينى يجب ألا تقـف عنـد حد التبشير بالجنة والتخويف من النار ، بل يجب أن تتعمق فى مشكلات المجتمع المستعصية لتعالجها بالحكمة والموعظة الحسنة .

ولو أحس المسئولون الدينيون بمدينة طهطا ، لاتخذوا من المأساة مجالا فسيحا للتوعية الدينية ، فعقدوا الندوات فى كل قرية ، والهبوا مشـاعر المصـلين فى كل مسـجد ، وحركوا أحاسـيس المستمعين فى كل قاعة ..

ولو أحسنت وسـائل الاعلام وعلى الاخص الصـحافة والاذاعـة والتلفـزيون ، لجعلت من المأساة قضـية تشغل أذهان الرأى العـام ، وينتصر فيها لهدى الاسلام الصحيح ..

ولا نملك بعد الا أن نقول للمتحذلقات الداعيات الى انصاف المرأة فى مجال المطالبة بتحريم ماأحله الله وحسب : انزلن الى الريف وبلدان الصعيد لتتعرفن اولا على حقـوق المرأة المهضـومة التى امتصتها التقـاليد الموروثة عن الجاهلية الاولى ، وأقرها الاسلام منذ أربعة عشر قرنا ..

محمد عبد الله السمان

وطن الأصفياء

للشاعر : قاسم مظهر

لمحات من الشاعر الصوفى الكبير
جلال الدين الرومى

قل لمن طـاف بالربى العـذراء
يتمـل الوجود فى اسـتحياء

قل لمن عاش فى الطبيعـة يرنـو
فى خشـوع للأوجه الحسناء

ويناجى الجمـال فى كل شئ
علوى التكوين والانشـاء

بين روض معشـوشب ومروج
غزلت سحرهـا عيون السماء

بين نهر يصب فى مسمع الأرض
نشـيدا مستعذب الايحـاء

بين طير يغازل الزهـر نشوان
بخمـر قدسـية الارداء

بين صبح والشمس قد هدهدته
بضـياء مستتبع بضـياء

ومساء أففى اليـه أصيل
للـيال سـحرية قمراء

وربيع يطوف بالكون مزهـوا
بمـا فى يديه من اغـراء

قل له اى موطن خلع الحسـن
عليـه مطـارف الاضواء

سيجيب المفتون فى لهفة الشـوق
ويغوى القلـوب بالاصـفاء

كل ما شـمته على الأرض حلوا
مشرق الحسن خالد الأصـداء
موطن فيـه للرضـا سبحات
موطن الحب موطن الأصـفياء !

كوميديا فى ثلاثة فصول

حبل الغسيل

بقلم: على أحمد باكثير

ملخص ما نشر :

ابو الديوك مدير مسرح النهضة وبلعوم مديرالجمعية الاستهلاكية حاولا طرد ابى حنفى المكوجى من مسكنه بالربع ومن الحوش الذى يتخذه ابو حنفى منشرالغسيله ولكن ابا حنفى قاوم هذه المحاولةبثبات. وتعطف عليه محسنة زوجة ابى الديوك التى تنكر علىزوجها اندماجه فى شلة تعمل على احتكار المنافع فيما بينهم فى كل مرفق .ففى المسرح لا يقبلون المسرحياتالا من شلتهم ولما سقطت المسرحية التى الفها بلعوم وفرضها ابو الديوك فرضا على المسرح نسبوا سقوطهاالى الاستاذ مرغنى مخرجها والى حنفى ممثل الدور الاول فيها وقاموا بحملة صحفية ضدهما حتى اضطرحنفى الى ترك مسرح النهضة والالتحـــاق بمسرح النجوم .

واستمرا بلعوم التاليف للمسرح فقدم مسرحيـــةجديدة وضاق صدر مرغنى فصارحهم بالحقيقة واعلن براءته منهم وحمل على ذلك النوع من النقـــد الذى تمارسه الشلة لتفرض اتجاهها بالارهاب الفـــكرى ومختلفالوسائل . وكذبوا مرغنى وزعموا انمسرحية بلعوم قد نجحت نجاحا باهرا فى دمنهور حين قام باخراجها مخرج اخر لولا ان وفدا جاء من دمنهـــوروأثبتوا ان المسرحية سقطت عندهم ايضا وقضت على فرقتهم الناشئة .

الفصل الثالث

المنظر : نفس المنظر كما فى الفصلين السابقين

يرفع الستار فنرى زينات واقفة امام حبل الغسيل فى بردتها وهى تنشر بعض الثياب وكأنها ذاهلة عما حولها من شدة الحزن .

زينات : (تنشر بعض ثياب أبيها) واحسرتى عليـــك يا أبتاه ، هذه ثيابك وقمصانك باقية عندنا فى البيت وأنت ... أنت فى السجن ! فى السجن يا أبى دفعة واحدة كاللصوص والمجرمين ! لهفى عليك يا أبتاه . ليتك كنت غائبا عنا فى سفر قريب أو بعيد ، اذن لصبرنا على غيابك ، ولكنا نفرح اذا جاءتنا رسائلك فنقرأها لذوى القربى والأصحاب ... لكن السجن يا أبى ما حيلتنا فى السجن ؟ اننا نتوارى من الناس خجلا ويخيـــل الينا أنهم يتغامزون علينا ويقول بعضهم لبعض كلما رأونى أو رأوا أمى ، انظروا هذه الفتـــاة التى أبوها فى السجن ؟ أو هذه المرأة التىزوجها فى السجن !

(تسمع حسن قادم فتمسح الدمع من عينيهـــا وتظهر التجلد والتماسك)

(تدخل سعدية)

سعدية : ماذا تصنعين هنا يا زينات ؟

زينات : أنشر هذا الغسيل يا ماما

سعدية : ألم أقل لك أننا سنمضى الساعة ؟

زينات : ونترك هذا الغسيل مبلولا ؟

سعدية : ما كان ينبغى أن تغسل اليوم بالكلية

زينات : كنت قد نقعت هذه الثياب من الأمس

سعدية : ما كان لك أن تنقعيها أمس

زينات : وعلام هذا العجل يا ماما ؟ على مهلنا

سعدية : قد عرفت ما ترمين اليه .. أن نبقى فى هـــذا المكان ولا ننتقل منه



زينات : أى والله يا ماما .. بقاؤنا هنا أحسن

سعدية : أيعجبك يا بنتى أن نبقى هنا وحدنا دون أن يكون معنا أبوك ؟

زينات : وفى الزمالك أيضا يا ماما لن يكون هو معنا

سعدية : يكفى هناك أننا سنغير المكان والسكان ، لن نرى هذه الوجوه التعسة . لن يعرفنا أحد فلن يشمت بنا أحد !

زينات : لم تميلين دائما الى سوء الظن بالناس ؟ لا أحد يشمت بنا أبدا ، ماذا يدعوه الى ذلك ؟

سعدية : أجل ، دافعى عنهم يابنت ! لعلك ما زلت تأملين أن يتزوجك إبنهم عصام

زينات : ما هذا الكلام الذى تقولينه يا ماما ؟

سعدية : أقول لك أنه لن يرضى أن يتزوجك بعـد الذى حصل .

زينات : لكنه هو قال لى نقيض هذا القول

سعدية : حتى لو رضى هو فلن يرضى أبوه ولا أمه

زينات : ان أردت الحق فأنت يا ماما التى تكرهينهم ولا تريدينهم .. أما هم فيحبوننا ويرأفون فينا

سعدية : كان هذا فيما مضى حين كانوا يطمعون فى خير أبيك

زينات : وان أبى لم يمت .. فهو موجود

سعدية : موجود ؟ ان الموت يا بنتى كان أرحم

زينات : بعد الشر عنه يا ماما .. تفيها من فمك

سعدية : ما كان هذا على البال ، أصبحنا اليوم مهزأة عند من يسوى ومن لا يسوى

زينات : ما هذا يا ماما ؟ أوقد قطعت الأمل فيه ؟

سعدية : انها سبع سنين يا بنتى . يا ترى من يعيش . آه يا نارى ؟ الم يكونوا أولى منا ؟

زينات : من هم ؟

سعدية : عيلة أبى الديوك

زينات : أولى بماذا ؟

سعدية : بالسجن !

زينات : حرام عليك يا ماما

سعدية : لماذا ؟ ما كان أبو الديوك خيرا من أبيك فى شئ فكيف يقبضون على أبيك ولا يقبضون على أبى الديوك ؟

زينات : هذا صحيح يا ماما ولكن لا يصح لنا أن نشتمه ونشتم أهله ، انهم على أبى فى حزن شديد

سعدية : فى حزن شديد ؟ تجدينهم مسرورين شامتين !

زينات : يا ماما حرام عليك

سعدية : أى حرام يا هذه ، من الذى خرب بيته ؟ نحن ام هم ؟

زينات : وما ذنبهم فى ذلك ؟

سعدية : لا يصح أن يخرب بيتنا دون بيتهم ، لا يصح أن نعيش فى هم وغم ويعيشوا هم فى سرور وسعادة

زينات : ولذلك كرهت أن تقيمى فى هذا البيت ؟

سعدية : طبعا يا بنتى ، من الصبح وأنا أحاول أن أفهمك دون جدوى ! هيا الآن الى هذه الهدوم

زينات : دعيها يا ماما حتى تنشف !

« البقية على صفحة ٣٤ »

تجلى الربيـــع بانواره   نضـــوع مجـ[illegible] [illegible]ـاره
وزف المبـــاهج للكائنـــات   تسيـل عـلى خفق أوتاره
حكيم الزمان أعاد الشباب   الى الارض فاعجب اعقاره
وأضفى على الروض وشى العروس   ونضر أعـــواد أشـــجاره
امنـا به من هزيم الرعود   وصر الشتـــاء وأعصـــاره
تقـر العيـون بآصـاله   وتنـدى القلوب باسحاره
اديم الـثرى مهرق ابيض   يخـط به خضر أسـطاره
ووشم الحقول وحلى الربا   عنـاوين شـتى لأسـفاره
وكـل مطـوقة فى الغصـون   تغنى عـلى وحى قيثـاره
به ضحك الدهر بعد القطوب   وراق لنـا بعهـد اكداره
وراح يرنـح اعطافنـــا   بصفو الغنـاء ومختـاره

***

ربيـع الزمان ، شباب الزمان   نقيس الحيـاة باشـباره
يذكرنا بنعيـــم الجنـــان   فينعشـنا عطــر تذكاره
ويطربنـــا عذب الحانه   ويمتعنـــا حلو اسماره
به الشيخ راجع روق الصبا   وعاوده مد تيـــاره
وهـز الهوى عطفه فانثنى   يجـدد بالى أطمـــاره
وراح الى الحسن يشكو الجوى   ويلقى اليــــه بأعـذاره

***

اتانا فتيـــا وضىء الشبـاب   على المركب الفـائق الفـاره
تردى الديابيـــج من حوكـــه   وكـــلل فـوديه من غاره
اذا ما اجتـلاه نجى الهموم   أفاض العـــزاء عـلى نـاره
أضـاء سنـاه حداد الشتاء   وارقـا ادمع أمطـــاره
كريم الخطـا ينثر البشريات   تحـــايا حـفى بزواره
عميم الندى أهل بيتــــه   بحجـاجه أو بعمـــاره





للشاعر: علي الجندي

على بابه زحمة للوفود ... تقبل ضافي أستاره
يعيشون تحت « اشتراكية » ... بها يمرح الكل في داره
تولى الشتاء ـ ذميم الذمام ... كريه المقام ـ بآصاره
فاهلا « بآذار » يمحو القتام ... ويجلو لنا حسن أقماره
واهلا « بنيسان » يفشي الأقاح ... لنا مكنون أسراره
واهلا « بايار » تهفو الغصون ... طرابا الى لحن أطياره
ويهدى لنا الورد أنفاسه ... اذا حل معقود أزراره

***

عجبت لضيف يضيف الأنام ... ويقطعهم خير اقطاره
وينزلهم بين جناته ... ـ كراما عليه ـ وأنهاره
ويصدح في عشه ذو الجناح ... ويهزج في ظل اوكاره
ويغزو الهوى كل قلب طروب ... بعون الجمال وابكاره
فلست ترى غير عرس بهيج ... يدين الصباح لاسفاره
يقرط أسماعنا حليه ... ويبهج أعين نظاره
على الأفق منه صدى فرحة ... تشي للسماء بأخباره
نصوغ القوافي وصفا له ... وأشعارنا دون أشعاره
وننظم فيه عقود الثناء ... وبشارنا دون « بشاره »
ونزجي اليه طيوب المديح ... وليست سوى مسك عطاره

***

فليت الربيع يديم الثواء ... ويقصر عن طي مضماره
ويلقي عصاه فلا نصطلي ... لظى البين من طول أسفاره
وليت الفصول محاها الاله ... وأسقطها صرف مقداره
فما ان توازي ـ اذا عددت ... فضائلها ـ عشر معشاره
فلم يبق غير ربيع وسيم ... غزير حيا الخير مدراره
فنستاف عبقة ريحانه ... ونشتف زبدة خماره




« بقية المنشور على صفحة ٣١ »

سعدية : كلا .. قلت لك لميها فلميها !

زينات : وهي مبلولة ؟

سعدية : لا بأس ، سنضعها فى بقجة وننشرها هنـاك فى بيتنا الجديد
(تبدأ سعدية فى جمع الثياب فتضطر زينات الى معاونتها فى ذلك)

زينات : طيب .. الا نذهب لنسلم عليهم ونودعهم قبل أن نمضي من هنا ؟

سعدية : انا اذهب اليهم ؟ مستحيل !

زينات : ادعوهم فيجيئوا هم اليك ؟

سعدية : كلا لا أريد ان أرى وجه أحد منهم

زينات : تأذنين لى اذن أن أقوم بالواجب ؟

سعدية : كما تشائين لكن أسرعى .. نريد أن نمضى الآن
(تخرجان)
(يظهر عصام فى البراندة)

عصام : (يتمتم) لا تريد أن تبقى ولا ليوم واحـد : مسكينة زينات تعاني فوق مصيبة أبيها مضايقات امها !

محسنة : (صوتها) أهلا زينـات .. كيف حالك وكيف حال والدتك ؟ هلمى بنا نقعد فى البراندة (تظهر ومعها زينات) الله ! انت هنا يا عصام ؟ ماذا تصنع ؟

عصام : لا شىء يا ماما . كيف انت يا زينات ؟

زينات : الحمد لله

محسنة : اقعدى يا بنتى

زينات : شكرا يا خالة .. انا جئت لأسلم عليك قبل ان نمضى

محسنة : ما زلتم مصممين على ترك الربع ؟

زينات : نعم يا خالة . اليوم

محسنة : وجدتم لكم شقة فى الزمالك ؟

زينات : الشـقة الصغيرة التى حجزها ابى لنفسـه فى عمارته

محسنة : الله يهديكم .. أتتركون بيتا كبيرا كهذا الى شقة صغيرة ليس فيها غير حجرة واحدة وفسحة ؟

زينات : لا بأس يا خالة .. مسكن موقت . سوف نعود هنا ان شاء الله . عن اذنك

محسنة : اجلسى قليلا . فيم هذا العجل ؟

زينات : اعذرينى يا خالة . انا سنمضى الآن . ولكن لى رجاء اليك

محسنة : ما هو ؟

زينات : ان تسامحى امى فيما بدر منها ، ان اعصـابها منهوكة هذه الايام

محسنة : قد سامحتها يا زينات،انى اعرف حالها واعذرها، مسكينة ؟ كان الله فى عونها !

زينات : شكرا يا خالة

عصام : (يقترب من زينات) لا تنسى الاتفاق الذى بيننا يا زينات

زينات : أنت الذى ستنسانى يا عصام

عصام : مستحيل ان أنساك

زينات : ان لم تنسنى وأنت فى اوروبا فستنسانى حين تعود

عصام : حين أعود ؟ كيف ؟

زينات : لن ترضى بى حينئذ .. ستتزوج فتاة أعلى ثقافة منى .

محسنة : أهذا ما تخافين منه ؟

زينات : نعم يا خالة

محسنة : حلها يسـير يا بنتى . كملى انت تعليمك حتى يرجع عصام فلا يجد فتاة اعلى ثقافة منك

عصام : حقا .. هذا حل عظيم

زينات : ائذنى لى الآن يا خالة . (تخرج ويخرج خلفها عصام)

محسنة : (تنظر ناحيةداخل الباب) ليليان ، ليليان تعالى الآن . ما بقى عندى أحد .
(تدخل ليليان فتقف وراء البارافان فى البراندة)

ليليان : (مكتئبة) يظهر انها رأتنى يا محسنة .

محسنة : غير ممكن .. انى قدتها الى البرندة توا

ليليان : يظهر انها لمحتنى عند مرورها بباب حجرتى

محسنة : على اى حال لا خوف من زينات ، استطيع ان اعتمد عليها كما أعتمد على عصام ابنى

ليليان : أخشى منها ان تخبر امها

محسنة : كلا انها تختلف عن امها تمام الاختلاف . اطمئنى يا ليليان

ليليان : كيف اطمئن يا محسنة وزوجى منتظر فى كل لحظة أن يبلغه اختبائى عندكم . يا ويل جثتى منه ؟ ليس ببعيد أن يقتلنى ويشرب من دمى !

محسنة : ومن أين يبلغه ذلك ؟

ليليان : لا يمكن أن يبقى مكتوما على الدوام . ان الشرطة يبحثون عنى فى كل مكان

محسنة : اذا عثرت عليك الشرطة فصارحيها بالحقيقة فانها حينئذ ستحميك ولن يقدر أحد أن يمس شعرة واحدة من رأسك

ليليان : لست خائفة من الشرطة ، أنا خائفة من زوجي فقد صار مجنونا

محسنة : اطمئني على كل حال ، انك هنا في أمان (يسمع صوت سيارة وقفت خارج البيت)

ليليان : هذه سيارة زوجك الإستاذ محرم ؟

محسنة : أجل

ليليان : هذا الرجل يكرهني يا محسنة ويكره بقائي عندك

محسنة : لا شأن لنا به

ليليان : هذا بيته يا محسنة

محسنة : وهل تقيمين في بيته مجانا ؟ انك لتدفعين له مبلغا وقدره

ليليان : ومع ذلك أراه متضايقا من وجودي هنا بعد

محسنة : فليشرب من البحر

ليليان : ألا يحتمل يوما أن يدل هو زوجي على مكاني

محسنة : كلا لا يجرؤ على ذلك لعلمه أن ذلك سيكون نهاية ما بيني وبينه

ليليان : أراه يلح على دائما ان أبلغ عن زوجي لكي يدخلوه مستشفى الامراض العقلية

محسنة : هذا في الحقيقة يا ليليان اصلح لك ولزوجك

ليليان : لكن لا يصح أن أشهد عليه بالجنون قبل أن أتأكد انه مجنون حقا

محسنة : لا تخافي . انهم سيكشفون عليه في أول الأمر ويضعونه تحت الاختبار

ليليان : واذا ثبت لهم أنه غير مجنون

محسنة : فسيطلقون سراحه

ليليان : وماذا يكون موقفي حينئذ ؟

محسنة : لن يكون أسوأ من موقفك الآن

ليليان : صه ، هذا زوجك قد طلع !

ابو الديوك : (صوته) محسنة .. اين أنت ؟ (يدخل) ها.. ..هنا في الفراندة ؟ ألا تخشين يا مدام لجم أن يراك أحد من الجيران ؟

محسنة : لا .. لا أحد يراها . هذا الساتر يحجبها

ابو الديوك : هيه .. هل راجعت نفسك يا مدام لجم ؟

ليليان : فيماذا ؟

ابو الديوك : في امر التبليغ عن زوجك . انه مجنون رسمي.. دائر يشنع علينا في كل مكان .

ليليان : ماذا يقول عليكم ؟

ابو الديوك : رصوليون .. انتهازيون ليس لنا مبدأ .. الى آخر هذا الكلام الفارغ

ليليان : لكن هذا يا أستاذ لا يدل على انه مجنون

ابو الديوك : عال والله .. أتشتميننا أنت أيضا يا مدام ؟

ليليان : لا والله ما قصدت ان اشتم أحدا..وانما أردت ان اقول ان هذا ليس بكلام رجل مجنون

ابو الديوك : فهذه هي الشتيمة يا مدام !

محسنة : أنت اذن الذي تشتم نفسك ، لانها لم تقصد الا ان تثبت لك أن زوجها الذي تتهمه بالجنون ليس بمجنون، ام تريد أن تتجنى عليها وتقولها ما لم تقل ؟

ابو الديوك : آسف يا مدام .

ليليان : عن اذنكم .. سأذهب الى حجرتي (تخرج)

محسنة : ماذا جرى لك يا رجل ؟ أهكذا تكون المعاملة ؟

ابو الديوك : قد اعتذرت اليها واعربت لها عن أسفي فماذا تريد بعد ؟

محسنة : انك دخلت دون أن تحييها ولو بكلمة !

ابو الديوك : أليس قد أصبحت واحدة من اهل البيت ؟

محسنة : لقد ساءها هذا منك

ابو الديوك : انا لم أسيء اليها في شيء

محسنة : أنها تشعر انك متضايق منها ومن وجودها هنا في البيت

ابو الديوك : هذا صحيح ولكن ماذا أصنع ؟

محسنة : لا حق لك.انها لا تقيم عندنا مجانا بل تدفع كل شهر مبلغا وقدره

ابو الديوك : وما قيمة هذا المبلغ في هذه الايام ؟

محسنة : اياك ان تطالبها بالزيادة مرة أخرى ، لقد اخجلتني المرة الماضية اذ طالبتها بثمن النور .

ابو الديوك : وعلام الخجل ؟ أتخجلين من الحق ؟ انها تسهر طول الليل في حجرتها تقرأ وتكتب ، والله لا ندري كم سيكون حساب النور هذا الشهر ؟

محسنة : ألسنا قد اتفقنا على أن الزيادة في حساب النور ستدفعها مدام لجم ؟

ابو الديوك : لم اذن تعودين الى حكاية النور ؟

محسنة : لأذكر انك قد أخذت منها حقك وزيادة فعليك أن تقابلها مقابلة طيبة

ابو الديوك : سأفعل ياستي من أجل خاطرك ولو أنني غير مطمئن من الناحية القانونية ، كيف أخبيء في بيتي شخصا يبحث عنه رجال الشرطة في كل مكان

محسنة : يا أخي انك تعلم انها لم ترتكب أى جرم وليس عليها أى مسئولية وكل ما هناك أنها هربت من بيت زوجها بقميص النوم لانه كان يريد ان يقتلها

ابو الديوك : ألم يكن افضل لو تركتها في بيت أخيك ؟

محسنة : والله لقد كان أخى مستعدا أن ينزلها فى سواد عينيه ولكنها هى التى استوحشت هناك وآثرت ان تقيم عندى لانى صاحبتها ، وعلى فكرة ماكان اخى ليأخذ منها ولا نصف مليم

ابو الديوك : صحيح ؟

محسنة : لا تصدقني ؟

ابو الديوك : لم لا أصدقك ؟ أليس أخوك هذا ابن أحد الاقطاعيين ؟

محسنة : هذه عادتكم ، تقلبون الأمور !

ابو الديوك : ماذا تعنين ؟

محسنة : من أولى بالمروءة والجميل والمعروف الاشتراكى أم الاقطاعى ؟

ابو الديوك : الاشتراكي طبعا

محسنة : وانت .. اقطاعى أنت ؟

ابو الديوك : معاذ الله ، أنا اشتراكي قح على سن ورمح !

محسنة : علام اذن لا تعمل بهذه الاخلاق ؟

ابو الديوك : لست مغفلا فاضيع فلوسى على غير طائل

محسنة : أتعد ذلك اضاعة فلوس من غير طائل ؟

ابو الديوك : فأى شيء هو عندك ؟

محسنة : هكذا أنتم صنف لايحيط بعيوبهم الا الله.تمدحون الاشتراكية وقلوبكم تلعنها وتلعنون الرأسمالية وقلوبكم تعوم فى بالوعاتها ومجاريها !

ابو الديوك : اسمعى يا ست ليس عندى وقت لأستمع الى اسطواناتك هذه السخيفة (يهم بالخروج)

محسنة : (تستوقفه وتعترض طريقه) انتظر ! أما آن لك أن ترجع عن غيك ؟ أتريد أن يصيبك مثل ما أصابه ؟ سبع سنين مع الاشغال الشاقة وعشرون ألف جنيه غرامة غير الاشياء التى صادروها عنده؟

ابو الديوك : ما شأني أنا ببلعوم ؟ أأتاجر أنا فى تموين الشعب مثله ؟

محسنة : يا محرم لا تحاول أن تخدعنى . انك تعرف ما أعنى !

ابو الديوك : أجل أعرف انك خائفة على

محسنة : على من أخاف اذا لم أخف على زوجى وأبى عيالى ؟

ابو الديوك : اطمئنى ولا تخافى .. أنا أبو الديوك !

محسنة : يا محرم لا تغتر بنفسك .. ستقع يوما على وجهك كما وقع غيرك

ابو الديوك : اطمئنى اطمئنى .. لا يمكن أن اقع أبدا.ان الذى يقع انما هو الذى تلفت أعصابه فينفعل من اقل شيء ويهتز من اقل صدمة اما أنا فقد تعلمت اليوجا يا محسنة فأعصابي مثل الحديد..انظري (يقف على أم رأسه فى الارض رافعا رجليه فى الفضاء) انظرى ! انظرى !

محسنة : قد رأيتك . مقلوبا على أم رأسك !

ابو الديوك : (يعود الى وضعه الطبيعى) ان الذى يستطيع أن يقف مقلوباهكذا لا يستطيع احد ان يقلبه أبدا. اسمعى يا محسنة ، عندى لك اليوم بشرى كبيرة

محسنة : أى بشرى ؟

ابو الديوك : لا تحبين أن تسمعيها ؟ هكذا أنت ما فرحت لى بشيء قط !

محسنة : يا أخى قلت لك أى بشرى يعنى أريد أن اسمعها منك

ابو الديوك : سوف أبنى لى عمارة جديدة .. ج .. ة جـديدة (يترقص)

محسنة : (ببرود) مبارك

ابو الديوك : أتعلمين أين أبنيها ؟

محسنة : أين ؟

ابو الديوك : فى البقعة التى نحن فيها

محسنة : فى هذا الحى ؟

ابو الديوك : فى هذا الربع ! (يترقص)

محسنة : فى هذا الربع ؟

ابو الديوك : أى والله أى والله (يترقص)

محسنة : اشتريته ؟

ابو الديوك : أى والله أى والله (يترقص)

محسنة : وتريد أن تهدمه ؟

ابو الديوك : طبعا والا كيف أبنى ؟ (يترقص)

محسنة : ونحن أين نذهب ؟

ابو الديوك : الشهر القادم ستخلو شقة فى عمارتنا التى بالمنيل

محسنة : وعيلة بلعوم أين تذهب ؟

ابو الديوك : الى حيث تريد .. الى عمارتهم التى فى الزمالك، أهذه مشكلة ؟

محسنة : وأبو حنفى هذا الرجل المسكين أين يذهب ؟

ابو الديوك : هلا ذكرت اسمه من الأول ؟ انه هو وحده الذى يهمك أمره . كل لفك ودورانك هـذا كان من أجله !

محسنة : وماذا على اذا اهتممت برجل مسكين كهذا ؟

ابو الديوك : مسكين ؟ أهذا الذى ترجيناه عامين كاملين دون جدوى مسكين ؟

محسنة : ترجيتموه أن يخرب بيته بيده ليس فى الدنيا من يقبل ذلك على نفسه

ابو الديوك : سترين اليوم منذا ينفعه

محسنة : ما اشتريت الربع اذن الا لتطرد أبا حنفى منه ؟ يا ظالم لن يبارك الله لك فيه

ابو الديوك : (ساخرا) لن يبارك الله لك .. لن يخلف الله عليك .. يا شيخة ؟ لوكنت اسمع لدعواتك هذه لما استطعت ان أبنى لى ولا زريبة أرانب أو قفص فراخ ! هه .. هذا أبو حنفى قد أقبل لعل الانذار قد وصله

محسنة : انذار ؟ أى انذار ؟

ابو الديوك : بالاخلاء

ابو حنفى : (يدلو من البرانده فى الحوش) لا مؤاخذه يا جماعة .. نهاركم سعيد

محسنة : اهلا بك يا أبو حنفى .. هل من خدمة ؟

ابو حنفى : اشكرك يا ست هانم . الاستاذ محرم يعرف لماذا جئت

ابو الديوك : الانذار وصلك ؟

ابو حنفى : انى الحق يا استاذ ان اليوم الذى تشترى فيه الربع تبعث لى فيه انذارا بالاخلاء ؟

ابو الديوك : ذلك لانى اشتريته لأهدمه وأبنيه عمارة .

ابو حنفى : الا تركتنا قليلا ريثما نبارك لك أو نهنيك ؟

ابو الديوك : آسف يا ابا حنفى نريد أن نهدمه فى أسرع وقت ممكن

ابو حنفى : انك امهلتنى ثلاثة أشهر وهذه مهلة غير كافية

ابو الديوك : هذا هو المعمول به بين الناس فى حالة الاخلاء بالهدم

ابو حنفى : لكنا نحن يا استاذ محرم أليس لنا خاطر عندك ؟

ابو الديوك : ماذا تريد منى ان أعمل ؟ أعدل عن الهدم وعن البناء ؟

ابو حنفى : معاذ الله يا سيدى . انما أطمع منك فى مهلة أطول

ابو الديوك : كم تريد ؟

ابو حنفى : ستة أشهر على الأقل ريثما نجد لنا مكانا ننتقل اليه

ابو الديوك : اسمع يا أبا حنفى خذها منى نصيحة ان كنت تطمع فى مكان له حوش كهذا فارح نفسك . انك لن تجده ولو بحثت عنه ست سنين لا ست أشهر

ابو حنفى : دعنى على الأقل أدبر حالى أو ابحث لى عن مخرج

ابو الديوك : كيف ؟ ماذا فى وسعك أن تصنع ؟

ابو حنفى : (لا يحير جوابا)

محسنة : سبحان الله .. اعطه المهلة التى طلبها وليصنع بها ما يصنع !

ابو الديوك : كلا ليس له عندى غير المهلة القانونية

ابو حنفى : طيب طيب ، هل لك أن تسعى لى ليعطونى شقة فى المساكن الشعبية التى يبنونها الآن هنا فى معروف أو فى المثيل ؟

ابو الديوك : أنا أسعى لك ؟ لماذا ؟ أتظننى فى وزارة الاسكان ؟

ابو حنفى : تستطيع يا سيدى أن توصيهم على . لقد وعدتنى انت بذلك من قبل . أوقد نسيت ؟

ابو الديوك : لا ما نسيت . كان الاستاذ عبد الواسع يومئذ معنا وكان هو يستطيع أن يسعى لك ويوصى عليك أصحابه

ابو حنفى : والآن ؟

ابو الديوك : لا أمل الآن الا اذا كنا سننتظره حتى يخرج بالسلامة ؟

ابو حنفى : أهى مسدودة من كل ناحية ؟

ابو الديوك : انك كنت السبب يوما ترجيتك انا وهو يومئذ ورفضت حتى ضاعت الفرصة

ابو حنفى : لا بأس .. ما دام الأمر هكذا فما بقى لى غيرطلب واحد .. آخر طلب لى عندك

ابو الديوك : ما هو ؟

ابو حنفى : أن تعيد لى ابنى حنفى الى مسرح النجوم كما كان

ابو الديوك : أنا مدير مسرح النهضة يا أبا حنفى ولمسرح النجوم مدير آخر

ابو حنفى : اعرف ذلك

ابو الديوك : فاذهب اليه لتترجاه

ابو حنفى : البركة فيك يا أستاذ .. تستطيع أن تتوسط لحنفى عنده

ابو الديوك : يا لك أبا حنفى من ساذج ، لا ينبغى أن يعرف مدير مسرح النجوم أن حنفى ممن يهمنى امره والا كان ذلك أدعى له الى رفضه

ابو حنفى : كيف استطعت اذن أن تحمله على فصل حنفى من المسرح ؟

ابو الديوك : كلا . هذا غير صحيح ، حقا أنا فصلته من مسرح النهضة أما مسرح النجوم فلا شأن لى به

ابو حنفى : يا سيدى .. هدامسكنى فى الربع وسأخليه لك ، فماذا تريد منى بعد ؟

ابو الديوك : أنا لا أريد منك أى شئ

ابو حنفى : أترك ابنى حنفى اذن يسترزق ! الى متى تحاربه ؟

ابو الديوك : انا أحاربه ؟ أهو ند لى أو من أمثالى ؟

ابو حنفى : أستغفر الله انه فى مكان ابنك على كل حال

ابو الديوك : فكيف تتهمنى بأنى أحاربه ؟

ابو حنفى انا لا اتهمك معاذ الله انا أترجاك وأتوسل اليك

ابو الديوك : عجيبة ؟ أتترجانى فى شئ لا أملكه ؟

ابو حنفى : (فاقد الصبر) يا ناس ! ماذا ارتكبت فى دنياى حتى تنهال هذه المصائب كلها على رأسى ؟

ابو الديوك : انت اعرف !

ابو حنفى : والله لا أعرف

ابو الديوك : ربك اذن هو العارف

ابو حنفى : يا رب ما أعظم حلمك ، احلم عليهم يا رب كما تشاء ، ولكن ارحمنا نحن ارحمنا يا رب !

ابو الديوك : أراك يا أبا حنفى قد شرعت فى التلبيخ ، دعنى اذن أترك لك المكان (يخرج)

محسنة : لا بأس يا أباحنفى اصبر ، ان الله مع الصابرين

ابو حنفى : أنا لا آسف يا ست محسنة الا على الغرامات التى كنت أدفعها للشاويش

محسنة : ما كان يخطر على البال يا أبا حنفى أن الربع سيباع

ابو حنفى : وليتها كانت من فلوسى انا لا من فلوس غيرى !

محسنة : (تومئ له أن يخفض صوته حتى لا يسمع من فى الداخل) النتيجة يا أبا حنفى واحدة .

ابو حنفى : لكن هذا دين على ولا أدرى كيف أقضيه

محسنة : لا تبتئس أنا على استعداد أن أقضى الدين الذى عليك

ابو حنفي : جزاك الله خيرا يا محسنة هانم . والله لا أدرى كيف أرد أفضالك هذه كلها ؟

محسنة : العفو يا أبا حنفي، هذا لا يكافيء عشر ما أسديت الينا فيما مضى من أياد وافضال.. والله لا أدرى كيف أدارى خجلي من اساءاتنا اليك

ابو حنفي : قد سامحته يا سيدتي من أجلك .. سامحته في كل ما فعل

محسنة : انك بكلامك هذا لتضاعف خجلي

ابو حنفي : والله ما هذا قصدي . أريد أن أقول ان السيئات التي ارتكبها ضدى ستنسى بعد قليل لكن حسناتك ستبقى محمولة على رأسي الى أن أموت

محسنة : اسمع يا أبا حنفي لماذا لم تطلب منه أن يرجع ابنك حنفي الى مسرح النهضة ؟

ابو حنفي : مسرح النهضة ؟

محسنة : نعم لانه هو مدير هذا المسرح فلا يبقى له عذر اذا رفض

ابو حنفي : اوتظنين أنه سيقبل ؟

محسنة : سأحمله على القبول بالقوة

ابو حنفي : كما ترين يا محسنة هانم

محسنة : اترك هذه المسألة على انى سأكلمه واعرف شغلى معه !

ابو حنفي : جزاك الله خيرا يا ست هانم ، الهى يعمر بيتك، القمدى بالعافية

(تخرج هي ويتوجه هو نحو البدروم حتى يغيب فيه)

(يدخل حنفي ومعه ميرغني من باب الحوش)

حنفي : تفضل يا أستاذ ميرغني

ميرغني : لعلنا سنضايق والدك ووالدتك يا حنفي

حنفي : بالعكس يا أستاذ سيفرحون بك ، انهم يحبونك جدا لانك استاذى

ميرغني : حسبك الله يا حنفي انى أقصد تضايقهم في المكان

حنفي : أبدا أبدا اننا سنجلس هنا قدام البيت
(يقفان أمام البدروم في الحوش)

حنفي : عندك مانع يا أستاذ ؟

ميرغني : لا أبدا هنا مكان جميل يشرح الصدر
(يفرش حنفي سجادة كليم فيجلس ميرغني)

ام حنفي : (صوتها) حنفي ! جئت يا حنفي ؟

حنفي : نعم يا أمة ومعي ضيف عزيز جدا ستفرحين به جدا

ابو حنفي : (من الخارج) من هو يابني ؟ (يدخل) الاستاذ ميرغني ؟ أهلا وسهلا (يصافحه) الا تجيء له بكرسي يا حنفي ؟

ميرغني : كلا اريد أن أقعد هكذا على الارض

ابو حنفي : أهلا وسهلا زارنا النبي

حنفي : تعالي يا أمه ! هذا الاستاذ ميرغني ، أتريدين أن تحتجبي عليه ؟

ام حنفي : أهلا وسهلا .. كيف حالك يا سيدى (تصافحه)

ابو حنفي : هاتي الشاى هنا يا أم حنفي لنشربه مع الاستاذ
(تخرج أم حنفي)

ميرغني : كيف حالك يا عمي أبا حنفي

ابو حنفي : الحمد لله يا بني ، الذى لايحمد على مكروه سواه

حنفي : (باحساسه الباطني) ماذا جرى أيضا يا أبه ؟

ابو حنفي : لا شيء يا بني

حنفي : لا تخف يا أبه الاستاذ ميرغني منا وفينا

ابو حنفي : (يناوله صورة الانذار) خذ اقرأ

حنفي : (يتصفح الانذار) هو أيضا ؟ وراءنا وراءنا ؟

ميرغني : ماذا حدث ؟

حنفي : خذ اقرأ يا سيدى (يناوله لميرغني) أبو الديوك! الى متى ينقر في الناس أبو الديوك هذا ولا ينقره أحد ؟

ابو حنفي : صه اخفض صوتك لايسمعك

حنفي : أيسمع ! ماعدنا نخاف منه !

ابو حنفي : كلا يا ابني ما زال لنا مطمع فيه

حنفي : أى مطمع ؟

ابو حنفي : أن يعيدك الى مسرح النهضة

حنفي : أرجى منه يا أبي مطمع ابليس في الجنة ؟

ابو حنفي : كلا يا ولدى لقد وعدتني الست محسنة بنفسها انها ستكلمه في هذا الأمر وتضغط عليه

حنفي : يفتح الله يا أبه لن أرجع الى المسرح أبدا

ابو حنفي : وتبقى بغير عمل ؟

حنفي : سأبيع الترمس !

ابو حنفي : يا ولدى أطعني .. لا يصح أن نكون نحن الاثنين عاطلين. يجب أن يكون عندك أمل في المستقبل.

حنفي : اى أمل واى مستقبل ما دام رجل مثل أبي الديوك جاثما على صدر المسرح ؟

ابو حنفي : كلمه يا أستاذ ميرغني لعله يسمع كلامك.. دعه يقبل أن يعود الى مسرح النهضة وغدا حين تتحسن الاحوال تأخذه معك الى مسرح النجوم

ميرغني : (يتضاحك في أسى) آخذه معي الى مسرح النجوم؟!

ابو حنفي : ليس الآن يا أستاذ .. فيما بعد ان شاء الله

ميرغني : سمعت يا حنفي ؟ سمعت ماذا يقول أبوك ؟

حنفي : انه لا يعلم ماذا حصل

ابو حنفي : ماذا حصل كفى الله الشر ؟

حنفي : الاستاذ ميرغني قد ترك مسرح النجوم !

ابو حنفي : نهار أسود ! لماذا تركته ؟

حنفي : ظلوا يضايقونه الى أن ترك لهم المسرح

ابو حنفي : لا حول ولا قوة الا بالله .. سدوا في وجوهنا كل الابواب !

علي احمد باكثير



إلى شاعرة يابانية

للشاعر: محمد الجيار

كان ليل ساهم .. كالحزن في قلب الأزل ..
شدني فيه حنين غامض .. ان ارتحل ..
نحو ارض .. لا تحس النفس فيها بالملل ..
ما مشت فيها الخطايا .. او بكى فيها الأمل ..
لبلاد .. باركتها الشمس .. يوما .. بالقبل ..

***

وبلا وعد .. اتت عيناك من افق بعيد ..
كشعاع مقبل من كوكب .. خلف الظنون ..
قبل ميلاد الليالى .. منذ آلاف السنون
وهو يطوى رحلة النور الى هذا الوجود

***

اقبل الحب .. ودق الباب دقات حبيه ..
مرحبا يا طارق الفجر .. بدنياى الشقيه ..
زرتني .. بعد مغيب العمر .. والروح صديه ..
قلت : ما زلنا .. وعند الحب للعمر البقيه

***

جئت من « طوكيو » من الأرض التى تثرى الخيال ..
حيث يصحو الفجر كالطفل على مهد الظلال
حيث ينمو الحب .. كالزهرة .. فى اعلى الجبال ..
عطرها روح لهذا الفجر .. روح للجمال ..
ليتنى داع .. قضيت العمر فى خضر التلال ..
قانعا .. لا اعرف الآمال فى دنيا المحال ..

***

ذات ليل ضج فيه القلب من فرط السام ..
صاحت المرآة : قف .. وانظر الى الشيخ الهرم ..
التجاعيد .. غزت خديك .. والشيب الملم ..
ندم الشيخ باعماقى .. وما جدوى الندم ؟
ناحت المرآة : يا فنان ... يا شادى النغم ..

كيف تحيا دون حب عبقرى .. بالألم ؟
ثم اقبلت .. وكان القلب يبكى فيه دم ..
قد تعرفت على عينيك فى صمت الألم ..
اسردى .. ما تفعل المأساة فى الليل الأصم ..
كيف طاف الموت حصادا بزيتون القمم ؟
فجروا الذرة .. فاهتز لها .. حتى العدم ..
كم ملايين من الأطفال غابت فى الخضم ..
وكان الموت فى بحر دماهم .. يستحم !!
قلت يوما .. ياله سحرا بليل القاهره ..
عبق التاريخ فيها .. والطيوف الساحره ..
وانا الشاعر اغفو بين كفى شاعره ..
وصدى اغرودة فى الليل تمضى عابره
سبحت فى ضوء عينيها لدنيا طاهره
لربى اليابان .. فى مرفا شمس ساعره ..
وانا ابصر فى عينيك نفسى الحائره

***

كلما جاء شتاء .. قلت : قد تاتى هنا ..
وبعينيها وشاح الشمس يطوى ارضنا ..
لا نخاف المطر البكاء يهمى حولنا
بل نغنى .. مثل طفلين .. نغنى سرنا ..
واغانينا مع الأمطار قطر من ندى ..
ها انا وحدى .. ينادينى .. رفيق من صدى ..

***

اخت دمعى .. عشت كالسائح دنياه ارتحال ...
خيمة من اغنيات .. ودثار من ظلال ..
اننى طفل عجوز عاش حلما للجبال ..
يا ربيعى .. جاءت اليوم بوديانى .. الغلال ..

فى ندوة فلسطين

بقلم : تحسين عبد الحى



(ايثيل مانين)

وقد شارك فى اعمال ندوة فلسطين العالمية العديد من الشخصيات العالمية - سياسيين وكتاب وادباء واساتذة جامعات الخ ..

وفى داخل الندوة التقيت بالكاتبة الانجليزية ايثيل مانين - التى سبق ان كتبت عنها فى مجلة الرسالة من خلال روايتها الشهيرة « الطريق الى بئر سبع » ويهمنى هنا ان انقل لقراء الرسالة مادار بيننا من حديث :

قلت لها ..

مس مانين .. اود اولا ان ارحب بك فى القاهرة باسم قراء الرسالة - وباسم جماهير شعبنا العربى - الذى يكن لك كل حب فى الوقت الذى يشعر فيه بعرفان فضلك ، لأنك ناصرت قضيته وكتبت عنها بروح الحب والتقدير له ، وخاصــة قطاع اللاجئين منه .

واود هنا ان اسالك بعض الاسئلة ..

اولا : أود ان تشرحى لنا انطباعك الشخصى عن ندوة فلسطين العالمية التى ينظمها اللاجئون من شباب فلســطين السليبة - الذين غمرتهم بحبك ورعايتك فى قصتك الرائعة «الطريق الى بئر سبع» فردت مس مانين بقولها ..

انى اومن بأهمية الندوة العــالمية لشـباب فلسطين - ذلك لأنها تعطى الفرصة المناسبة لمندوبى جميع شعوب العالم - باجناسهم المختلفة ولغاتهم المتعددة لكى يتناقشــوا ويتبادلوا الراى فى هذه القضية الهامة « قضية فلسطين »

واذا كان الرأى العام العالمى يعطف على اسرائيل

لقد كان عملا رائعا ومفيدا ذلك الذى حدث فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة .. ولعل اعظم شىء استطاعت هذه الندوة أن تحققه فى رأيى

- هو ذلك التــلاقى بين وفود وقادة الحـركات والمنظمات الطلابية فى جميع أنحاء العالم - كلهم متفقون بل متحمســون لمناصرة حقوق العرب فى الوطن السـليب . والاكثر من ذلك أنهم واعـون تماما لظروف القضية وملابساتها ويتفقون معنا فى وجهة نظرنا القــائلة بان « اسرائيل » خطــر استعمارى مدمر تجب ازالته من قلب الأمة العربية .

فذلك لان العرب لم يعطوا الفرصة الكافية لابداء رأيهم في قضية فلسطين . اما عن انطباعي ورايي الحقيقي في هذا الصدد فهو ان اسرائيل ما هي الا من خلق الصهيونية العالمية والاستعمار الغربي .

فقلت لها مستدركا ..

الا ترين معنا أن كل من رايتهم هنا من الشباب العربي الفلسطيني يتمثلون في بطل روايتك المناضل وليد حسين وزميله طالب حماد اللذين رمزت اليهما كنماذج مناضلة وقادرة على الاعداد المنظم للعودة الى وطنهم المغتصب ؟ فردت قائلة ..

بالنسبة لهذا التفسير لاشخاص روايتي فانا أوافق تماما عليه ــ اذ يوجد كثيرون من الشباب الفلسطيني يتميزون بالثقافة الحسنة والقدرة على الحركة الدائمة تماما مثل وليد حسين في روايتي اما طالب حماد فانه شاب عربي مثل آلاف غيره ــ يسكن الخيام في معسكرات اللاجئين وهو مثل صديقه وليد يعمل لاسترداد وطنه المغتصب ــ ولكنني اريد ان اضيف هنا ان معظم الشباب العربي في كل البلاد العربية يحملون نفس الصفات والحماس في العمل من أجل فلسطين مثل وليد حسين في روايتي « الطريق الى بئر سبع » .

وبعد ذلك قلت لها ..

لقد صرح ليفي اشكول في لندن منذ ثلاثة ايام بعد ازدرائه لكل مواثيق وقوانين وقرارات الامم المتحدة بانه يعارض بشدة توطين اللاجئين العرب في ديارهم وارضهم ، لاننا ــ كما قال اشكول ــ لا نعيش في عصر المجتمعات ذات الاجناس المتعددة » ! فما رايك في هذا التصريح ؟

ومن الطريف انها قبل أن تجيب عن السؤال ــ وعند ذكر اسم ليفي اشكول .. نظرت الى قائلة .. انه رجل مخيف ويملك وجها جامدا بشعا .. فقلت لها ــ ما رايك اذن في بن جوريون ــ فانتفضت من مكانها قائلة ــ اوه .. ان وجهه مرعب .. واخذت تشبه وجهه وشعره بوجه حيوان تعرفه لم اتمكن من التقاط اسمه .

وكان ردها على سؤالي الثاني بقولها ..

اما عن تصريحات ليفي أشكول الاخيرة في لندن ــ فهي تصريحات ليست جديدة بل كانت متوقعة منه .. ولم يكن هو أول من قال ذلك ــ فقد سبقته جولدا مائير ــ اكثر من مرة عندما قالت ــ انه من المستحيل أن ينزح لاجيء واحد الى اسرائيل وان السياسة في كل من اسرائيل والبلاد العربية يجب ان تكون كما هي ولا يجب أن يدخل عليها اى تعديل .. وهذه التصريحات تجعلني أشعر بالبغض والمقت والاشمئزاز من اسرائيل ..

واستطردت ايثيل مانين قائلة ..

وانا اتفق معك في الراى .. اذ لا يوجد هناك فرق كبير بين اسرائيل في عملياتها العنصرية المفزعة مع العرب وبين عصابة « كوكلوكس كلان » الامريكية ولكن الفرق الوحيد هو أن الاولى لها مرتع خصيب في فلسطين بالنسبة للعرب أما الثانية فمرتعها الخصيب في أمريكا .. ولكنهما يتفقان في عدائهما الموحد ضد الانسان وقيمته ورغبته في التحرر والمساواة سواء في أمريكا او في فلسطين ــ وكذلك يوجد تشابه كبير بين اسرائيل وحكومة جنوب افريقية وهذا التشابه من ناحية واحدة ولكنها اساسية ومهمة وهي التفرقة العنصرية .

وانتقلت بعد ذلك الى السؤال الثالث .. فقلت لها .. مس مانين .. يتضح من تصريحات مستر ويلسون الاخيرة ــ ان بريطانيا مازالت مصرة على موقفها من مناصرة العدوان الصهيوني على ارض فلسطين المحتلة ــ فما هو انطباعك الشخصي عن هذه التصريحات فردت بقولها ..

بالنسبة للتصريحات التي اعلنها مستر ويلسون رئيس وزراء بريطانيا .. فان السياسة البريطانية وخاصة سياسة حزب العمال البريطاني كما هي لم تتغير ولا يوجد هناك ادنى تفكير في تغييرها ــ وخاصة تجاه الصهيونية العالمية واسرائيل اذ انها كانت في الماضي سياسة عدوانية متآمرة على العرب ومازالت مستمرة كما هي حتى الآن . لقد صرح ويلسون قبل ان يصبح رئيسا للوزراء بقوله ..

« اذا انتخبت واصبحت رئيسا للوزراء فانني

سوف اساعد اسرائيل وساعدها بالمعونات والمعلومات بكل ما استطيع » وهذا ما يجعلنى « أى مس ايثيل مانين ، أبغض حزب العمال البريطانى وزيادة على ذلك فاننى اشتراكية – اى من الحزب الاشتراكى البريطانى ، وهذا مما يجعلنى أكره حزب العمال الذى يتمسح فى الاشتراكية ويعلن عن نفسه كحزب اشتراكى وقد سنحت لى فرص متعددة بالتحدث مع أعضاء كثيرين من حزب العمال على مختلف المستويات ، وكانوا يقولون جميعا ان اسرائيل ولدت لتبقى ، ولذلك يجب ان تقبلها الدول العالمية وخاصة الدول العربية – والاكثر من ذلك انهم يدعون فى نفس الوقت انهم ليسوا استعماريين وانهم يبغضون الاستعمار ، ولكن وجود اسرائيل يناقض ما يدعونه .. اذ ان احتلال الصهيونية العالمية لفلسطين بمساعدة بريطانيا فى أول الامر هو نفسه استعمار . هذا عدا موقفهم المزرى فى الجنوب العربى وفى كل انحاء العالم – وهذا هو الوجه الاستعمارى الصحيح لحزب العمال فى الشرق الاوسط وفى العالم أجمع .

واخيرا قلت لها : هناك سؤال اخير .. أود أن اعبر لك فيه عن شكرى وشكر قراء المجلة التى اعمل بها ـ فهل تسمحين بتوجيه كلمة صغيرة بخط يدك الى اصدقائك من جماهير الشعب العربى عن رأيك فى القضية الفلسطينية فكتبت ايثيل مانين تقول :

« ان موقفى من القضية الفلسطينية يبقى كما هو دون تغيير – لان الموقف فى حد ذاته غير قابل للتغيير – وانا أرى هذه القضية قضية هجوم صهيونى فى قلب الوطن العربى – وهذا الهجوم يعتبر بلا شك هجوما استعماريا ، ولد فى البداية على أيدى الاستعمار البريطانى ، ودعم بالدولار الامريكى المستعمر . والمسألة ما زالت هى تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيونى وارجاع الملاك الشرعيين الى أرضهم وديارهم .

وانه لمن المحتمل ان تكون هذه السنة مهمة وحاسمة بالنسبة للأمة العربية عامة ولفلسطين بصفة خاصة .

وقد وقف العرب متحدين فى وجه المانيا الغربية وهدايا الاسلحة الى اسرائيل الامر الذى جعل القضية الفلسطينية من اهم الامور العالمية ..

وتزود امريكا اليوم اسرائيل بالسلاح لتستعمله ضد العرب مباشرة ، وهذا يؤكد الوجه الاستعمارى للولايات المتحدة .

ان العالم العربى يعرف الآن من هم أعداؤه ومن هم أصدقاؤه . اذ ان اسرائيل ليست العدو الوحيد للأمة العربية . فان الغرب الاستعمارى يدعم اسرائيل ويساعدها .

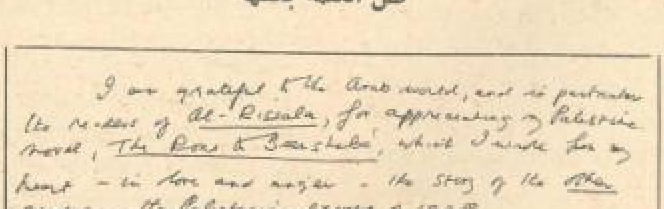
ولما سألتها عن كلمة صغيرة تخص بها قراء الرسالة كتبت تقول ..

انى اشكر العالم العربى واخص بالذكر مجلة الرسالة لاهتمامهم وتذوقهم لروايتى الفلسطينية « الطريق الى بئر سبع » التى كتبتها من قلبى بالحب الذى أكنه للعرب . انها قصة الخروج الثانى : خروج الفلسطينيين من أرضهم عام ١٩٤٨ م .

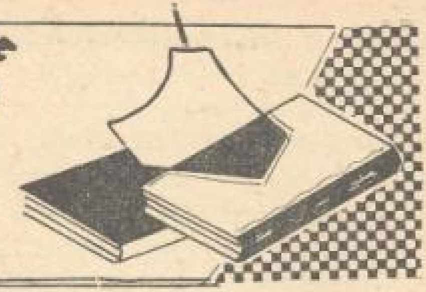
ولعل فيما قالته الكاتبة الانجليزية ايثيل مانين مايكفى عن هذه الحلقة الاولى من سلسلة المقابلات التى سنحاول أن نقدم المزيد منها فى العدد القادم .

« تحسين عبد الحى »

نص الكلمة بخطها


I am grateful to the Arab world, and in particular the readers of Al-Risala, for appreciating my Palestine novel, 'The Road to Beersheba', which I wrote from my heart – in love and anger – the story of the other exodus – the Palestinian exodus of 1948.

تعقيبات



بقلم : عباس خضر

فلسطين
فى مؤتمر الأدباء العرب

كان موضوع فلسطين أكثر الموضوعات اهتماما به فى مؤتمر الأدباء العرب ، ففى الكلمة التى افتتح بها المؤتمر **الرئيس عبد السلام عارف** حث سيادته الأدباء على أن يعمقوا الشعور بالمأساة لدى الشباب ويعبئوا المشاعر للمعركة ، ولم تكد تخلو كلمة من كلمات رؤساء الوفود فى حفل الافتتاح من هذا الموضوع الخطير .

وظفرت فلسطين بأكبر عدد من البحوث التى ألقيت والتى طبعت ووزعت .

ومع ذلك فانها لم تظفر كثيرا – من الناحية الأدبية الفنية – بجهد يبين خصائص التعبير الأدبى عنها ، ومدى عمقه واستيفائه ، وما ينبغى أن يكون لهذا التعميق والاستيفاء .

الدكتور اسحق الحسينى (من فلسطين) ألقى بحثها جيدا عرض فيه القضية من ناحيتيها التاريخية والسياسية ، وأفاض فى بيان الأدلة التى تثبت عروبتها وأحقية أهلها المطرودين منها بها ، ولكنه لم يعرج كثيرا على الناحية الأدبية .

والاستاذ عبد الله بن خميس (من السعودية) شغل جزءا كبيرا من بحثه بمقدمة طويلة عن دور الأدب فى كفاح الأمم على وجه عام ، والأدب العربى فى كفاح الامة العربية على وجه خاص ، فلما وصل الى فلسطين كان معظم الطاقة قد استنفد ، ويتميز موضوع ابن خميس بالتعبير الأدبى الأنيق فى غير لجوء الى الخطابة السطحية .

والدكتور جميل سعيد (من العراق) أعد بحثا كبيرا وجه فيه معظم اهتمامه الى تاريخ فلسطين منذ القديم ، وموقعها الجغرافى مستشهدا بكثير من نصوص المؤلفين القدامى عنها ، ثم تحدث فى أثر مأساة فلسطين فى شعر أهل فلسطين أنفسهم ، وفى أثر المأساة فى شعر الشعراء العرب عامة ، وفى أدب الأدباء من المسلمين غير العرب من الفرس والترك والهنود وغيرهم ، ولكنه مر بذلك كله مرور تجميع وايراد نصوص فى مناسباتها التاريخية .

وقد استرعى انتباهى فى بحث الدكتور جميل سعيد أنه قال فى المقدمة : « **ورحت أبحث عن هذا الشعر (الذى قيل فى فلسطين) وعن دواوين الشعراء ، وعجبت الا أجد شيئا منها فى أسواق الوراقين فى بغداد ، واتجهت الى المكتبات العامة والخاصة فلم أجد فيها الا القليل ، وبعثت اطلبه من مكتبات الأردن والقاهرة فلم أحصل على بغيتى منه** » .

ومع ذلك فقد أورد كثيرا من هذا الشعر فى البحث وتعرض بالمناقشة لما جاء فى كتابين يحتويان على كثير جدا من الشعر المعاصر الذى قيل فى فلسطين ، وهما كتاب « **الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين** » للاستاذ كامل السوافيرى ، وكتاب « **مأساة فلسطين وأثرها فى الشعر المعاصر** » للدكتور صالح الأشتر .

وكان موضوع « دور الأدب فى معركة فلسطين » للأستاذة سميرة عزام (من فلسطين) ، هو الموضوع الوحيد الذى تعمق الموضوع – من الناحية الأدبية

الفنية – وباشر علاجه بطريقة صريحة جريئة انتهت الى رسم خطة بنائية في الموضوع .

لم تهتم سميرة عزام بايراد نصوص مما قيل ، كما فعل غيرها كثيرا ، بل عنيت بالفكرة المجدية ، والنظرة المتفحصة الناقدة . وان كنت أراها قد بالغت في النقد ، مبالغة المعافى المكتوى والحب في بيان التقصير حتى جارت على الواقع في بعض المواضع .

قالت : « **لو رجعنا للمظاهر الكبرى التي تناولها الأدب منذ النكبة حتى اليوم لراينا ان الحصيلة عموما هامشية تترنح في الظلال ، او تترجم فورات** آنية تقول مالديها ثم تنطفيء ، فكاني بصاحب **الأثر لا يرمي الا الى التدليل مرة او مرتين على انه ليس غائبا عن قضية من قضايا العصر الكبرى ، وليس حظ لون ادبي بافضل من حظ لون آخر ، فما يثبت من مئات القصائد لاينهض شاهدا على فضل الشعر ، وما يصح اعتباره رواية بالمفهوم الجدي للكلمة يضيع في ثنايا روايات وقعت في متاهات التسطح ، ولا ندرى بماذا يمكن ان نعتذر عن القصة القصيرة ، اما البحوث فاننا لو اسقطنا من الحساب تلك الابحاث التي توسل بها اصحابها لنيل درجة علمية ، او التي قامت اصلا غاية دعاوية لراينا ان الفكر كان شبه غائب عن هذه القضية».**

وتحس سميرة بجور تعميمها ، فتستدرك قائلة: « نقول ذلك ونحن نعلم أن التعميم قد جار على بعض الأعمال الأصيلة وفوت علينا فرصة التنويه بكتاب وشعراء عاشت القضية في وجدانهم ووسمت اكثر انتاجهم بميسمها . ولكن النسبة تظل في النتيجة دون هذه القضية بابعادها السياسية والانسانية الخطيرة » .

ويبدو لي ان هذا الحكم العام بعيد عما تقتضيه نظرة التتبع والتأمل فيما كتب وألف عن فلسطين منذ النكبة حتى اليوم . فلو صرفنا النظر عن الشعر الكثير الذى قيل ، فقد يكون ثمة مجال لنقد نوعيته ، ولو صرفنا النظر كذلك عن الروايات الجيدة التي تضيع في غمار الروايات السطحية ، فانه لايسعنا ان نمر ساكتين باشارتها الى القصة القصيرة والبحوث . وهي نفسها (سميرة عزام) من كتابها أو كاتباتها ، وهي الى هذا تعيش في أعماق المأساة ، واحسب انها عبرت بالقصة القصيرة في هذا المجال .

ويخيل الى انها تطلق ذلك الحكم دون ان تطلع على ماكتب من قصص قصيرة عن حياة اللاجئين . الأذكر مثلا مجموعة قصصية كاملة لكاتب من الجمهورية العربية المتحدة ، اسمها **«وجوه جديدة** وهى **الأستاذ عزمى لبيب** . واذكر كذلك مجموعة أخرى لكاتب آخر من سوريا لاأذكر اسمها وان كان لايغيب عنى اسم صاحبها وهو **الدكتور بديع حقى** كلها ايضا عن حياة اللاجئين ، وقد نالت جائزة الدولة التشجيعية من المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

فاذا عرجنا على البحوث والمؤلفات وجدنا منها مالايحصى . نعم قد يتوه الجيد منها في زحمة غيره ، ولكن المحصول يدل على ان الفكر لم يغب عن القضية كما قالت سميرة .

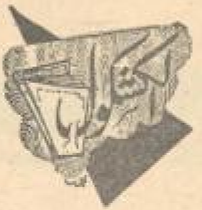
وهى قد كتبت موضوعها بطبيعة الحال قبل انعقاد المؤتمر ، واظن انه قد داخلها شيء من التردد فيما قالت به . بعد أن سمعت ماقيل عن فلسطين من شعر ونثر في المؤتمر والمهرجان .

على انني لاأريد ان اقول بان كل شيء على مايرام وليس في الامكان ابدع مما كان .. ولكن لعلنا نكون اقرب الى الانصاف اذا نظرنا نظرة عامة الى موقف الادب من قضايانا القومية بل حياتنا الاجتماعية الجديدة على وجه عام ، **وهو موقف يلحظ فيه تخلف التعبير الأدبى عن المنجزات العظيمة السريعة التي تسبقه ويقف هو دونها مبهورا ..** وقد كتبت في ذلك غير مرة وبينت ماعن لى فيه من اسباب وملابسات .

وذلك لايمنع من موافقة الاستاذة سميرة عزام على ما رأته من أن التفاعل الحقيقي بين القضية وبين الأديب العربي لايتم – على الوجه الامثل ، وهذه من عندى – الا في ظروف اهم نقاطها : تبصر الاديب العربي بنواحي النكبة وابعادها والتفاعل معها بشكل أوثق ، واتاحة المجال له لمشاهدة آثار النكبة ، وارتفاع الأديب العربي فوق الاحداث الصغيرة التي يتأثر بها من تصرفات فلسطينية فردية ، وعدم الاقتصار على مناسبات معينة ، بل تكون القضية معايشة يومية ، واعادة الايمان الى النفوس بجدوى الادب وقيمته كعامل من عوامل قضية يبدو ان القوة هى الحل الامثل والوحيد لها ، في حين ان طرح اى عمل ادبي يجعل المشاعر متوفزة بشكل يسهل تعبئتها وتوجيهها في طريق الحل الذي تبدو القوة عامله الوحيد ، وان يكون

للاديب العربي وضع المفكر بحيث يستشرف ويوجه ويحمل في تضاعيف ادبه ايحاء بما يجب ان تكون عليه المعارك السياسية .

ونوافقها كذلك على ان ذلك التفاعل في نفس الاديب لايكفي وحده ، بل يجب ان تتهيأ له الى جانب تلك الظروف وسائل اخرى تملكها الحكومات والمؤسسات الرسمية والاهلية كوسائل الاعلام والنشر ، **وان هذه الهيئات مدعوة الى الشعور بضرورة استخدام هذه الوسائل وكل الامكانيات في عملية تعبئة فكرية وروحية واسعة النطاق ، لدرك الاخطار التى تهدد الوجود العربي من اساسه مالم تكن الجماهير العربية على مستوى الشعور بمسئولية الدفاع عن هذا الوجود .**



● اوصى مؤتمر الادباء العرب – فيما يختص بفلسطين – بتهيئة الوسائل العملية الفعالة من رصد للاموال اللازمة وتعيين اللجان المختصة الكفيلة بتحقيق اغراض منها :

١ – ان تؤرخ فلسطين من جميع النواحي السياسية والفكرية والادبية والروحية والاثرية لاثبات عراقة العروبة في هذه البقعة المقدسة وابراز شخصيتها من خلال الحضارة العربية .

٢ – نشر النتاج الادبي لأبناء فلسطين منذ بداية النهضة .

٣ – جمع التراث الشعبي (الفولكلور) الفلسطيني .

٥ – دراسة النتاج الادبي الذى وضعه ادباء العالم العربي في موضوع فلسطين .

٦ – اختيار أجود مافي نتاج النكبة الشعرى وترجمة الانساني منه الى اللغات العالمية .

٧ – تشجيع التاليف في قضية فلسطين للقراء العرب ، وللأجانب من شرقيين وغربيين باللغات الاجنبية .

٨ – دعم الادباء والمفكرين والصحفيين الاجانب المتعاطفين مع القضية الفلسطينية .

٩ – انتاج الأفلام السينمائية والتليفزيونية التي تدور موضوعاتها حول النواحي الانسانية لقضية فلسطين .

١٠ – اصدار مجلة خاصة بفلسطين على مستوى عربي عال .

١١ – ادخال موضوع فلسطين في صلب المناهج التعليمية في جميع المدارس والمعاهد العالية .

● **اعتذر « جان بول سارتر »** عن حضور الندوة العالمية التى اقيمت اخيرا في القاهرة لمناقشة قضية فلسطين . وعلل ذلك بوجوده الآن في الولايات المتحدة ..

ويلاحظ ان «سارتر» لم يكتب كلمة في تأييد قضية فلسطين العربية برغم كتاباته المعروفة في مناصرة قضايا التحرر في العالم . وهذا مما يعزز الاتهام الذى وجهته اليه **«نازك الملائكة»** في مؤتمر الادباء العرب . وقد دافع عنه **الدكتور سهيل ادريس** ، وكان من دفاعه انه – اى سهيل ادريس – دعا سارتر الى زيارة اللاجئين في خيامهم كي يطلع على احوالهم ويدافع عن قضيتهم الانسانية ..

ايتهما المسالة .. ؟ الدعوة .. ام الاستجابة؟.

ومسالة وجود سارتر الآن في الولايات المتحدة عذر غريب .. ففي الندوة الآن اثنان جاءا من الولايات المتحدة .

● استمعت في برنامج **«زوجك في الطريق»** بالاذاعة ، الى حوار بين زوج وزوجة موظفة ،قالت له وقد لامها على عدم اعداد الطعام :

انا موظفة اعمل في الخارج مثلك ، وموقفي هو موقفك ، فاذا كنت تلومني على اهمال العمل في المنزل فاني كذلك الومك ، لماذا لاتكون مسئوليتك في البيت كمسئوليتي ؟

منطق سليم لم تؤثر فيه ولم تدحضه الخطبة التى خطبها «الناصح» في الاذاعة والتى قالت لها: عيب ! هذا لايليق منك في حق زوجك !

وانا – مع الزوجة – لاادرى لماذا هو عيب ولماذا هو غير لائق !

لي قصة تعرض هذه الوجهة من النظر عنوانها «زوج المدرسة» ضمن مجموعة «مذبحة» .

● **مسرحية «خيال الظل» للدكتور رشاد رشدى** التى عرضت اخيرا على مسرح الحكيم – تعتبر مثالا ناجحا لتطبيق راى المؤلف – كناقد – في الفن الذى يقول مايقول من داخل بنيته الحية .

« عباس خضر »

حول الأدب في الشرق

بقلم: عبده بدوي

وهذا هو الطريق

يؤكد المؤرخون المحدثون ان عام ١٨٧٧ كان عاما حاسما بالنسبة للمصريين لا بسبب ما يجرى فى الداخل فقط، وانما ـ ولعل هذا فى المقدمة ـ لادراكهم حقيقة الصراع فى العالم وبخاصة هذا الصراع المسلح بين تركيا وروسيا ، فقد التفت الكثيرون الى داخل انفسهم بعد أن سحبوا عيونهم المشدودة والمبهورة معا من الاستانة ، وكان أن أدركوا أنه اذا كان الأتراك يزعمون أن لهم الحق فى الحكم باسم الاسلام ، فانهم هم الجديرون بأن يقولوا هذه الكلمة باعتبارهم « المادة الصلبة » للاسلام ٠

وفى ضوء هذه الالتفاتة النفسية سمع هذا الشعار الذى يقول « مصر للمصريين » وسواء كان أول من اطلق هذه الكلمة سليم النقاش أو « أبو نضارة » ، ثم كان أن أكدها عرابى وعبدالله النديم واحمد لطفى السيد . سواء أكان هذا أو ذاك ، فان مما لا شك فيه ان مصر فى هذه الفترة تحسست نفسها ، واصبحت تملك رؤية جديدة للحياة ٠

وقد أكد هذا الامام محمد عبده فى وثيقة جاء فيها عن أهل مصر « ٠٠ ولا يرى أحد منهم لنفسه رأيا يحق له أن يبديه فى ادارة بلاده ، أو ارادة يتقدم بها الى عمل من الأعمال يرى فيه صلاحا لأمته ، ولا يعلمون من علاقة بينهم وبين الحكومة سوى انهم محكومون مصرفون فيما تكلفهم الحكومة به وتضربهم عليه ، وكانوا فى غاية البعد عن معرفة ما عليه الأمم الأخرى سواء أكانت اسلامية أو أوربية ، ومع كثرة من ذهب منهم الى أوربا وتعلم فيها من عهد محمد على باشا الكبير الى ذلك التاريخ الذى ذكرناه (١٨٧٧) ٠٠ لم يشعر الأهالى بشىء من ثمرات تلك الاسفار ، ولا فوائد تلك المعارف التى اكتسبت بها ٠٠ الخ »

ثم مرت الأيام وتأكد تماما أن مصر لا بد أن تنهض اذا أرادت ، وأن تلك القوى المتصارعة فيها هى التى شلت من حركتها ، وهى التى عوقتها عن الحركة وصيرتها أجزاء متصارعة يأخذ بعضها بحركة البعض الآخر ، ولعل الدكتور محمد حسين هيكل قد شخص هذا فى « تراجم شرقية وغربية » بقوله :

« ان المصريين قد رأوا فشل السياسة الأولى التى جروا عليها ، وهى سياسة الاعتماد على فرنسا ، ثم

على أوربا ، ثم على الباب العالى ، وقدر جماعة منهم ان لا بد من الأخذ بسياسة أخرى ، هى اعداد الأمة بأدوات الاستقلال من علم وأخلاق ، وغرس الايمان بنفسها لا لمجرد كراهية الانجليز ، ولا حبا فى الباب العالى ومقام الخليفة ، ولكن حبا فى الاستقلال والحرية لذاتهما » .

وتمر الأيام واذا بوجه مصر العربى يتأكد – بعد الثورة – كما لم يتأكد من قبل ، واذا بالشعب يدرك – بعد فترات التيه – أن بلاده لا تنتسب الى « مصرائيم » ، ولا الى تلك الحضارة القديمة الا باعتبارها «جدا أعلى» يمكن أن ينظر اليه فى احترام ومودة من فترة البدء الى فترة الختام ، وباعتباره « مرحلة تاريخية » تشد القامة ، وتزيد اللمعان فى العين ، وتجعل الأرض التى تقف عليها البلاد صلبة وعنيدة .

صحيح أن هذا الوجه العربى قد أصيب «بالتعتيم» المملوكى والتركى والفرنسى والانجليزى، وأنه اختنق فترة بهؤلاء الذين جاهروا بالعداء حين تحرك للوحدة ، وحاولوا أن يصوروا الاسلام على أنه تراث ، والقومية العربية على أنها تفرقة عنصرية ، والاشتراكية على أنها مزيفة ما لم تسر فى خط التنبؤ الماركسى ، والذين سمح لهم ضميرهم أن يعاكسوا تيار الثورة فى الجزائر ، وأن يرتضوا كل حل لقضية فلسطين ما عدا الحل العربى ..

ثم اختنق بهؤلاء الذين يشككون فى الحضارة العربية قبل الاسلام ، وفى الحضارة العربية الاسلامية بعد ظهور الاسلام . ومهما شكك هؤلاء – عن قصد أو غير قصد – فى هذه الحضارة ، ووضعوها على المسرح فيما بين القرن الثامن والرابع عشر الميلادى ثم أسدلوا الستار بحركة مضحكة فان مما لا شك فيه أن حضارة العرب لم تكن حضارة رمل ، وأنها عرفت دولا متحضرة – ويتعمد الآن عدم التركيز عليها – مثل الدولة السبئية ، والمعينية ، والحميرية الأولى والثانية ، كما عرفت امارات الانباط والغساسنة ، واللخميون ، وكنده ، وأنهم وصلوا الى الرقية قبل العيسوية والموسوية ، والى هؤلاء الذين يصرون على تصوير العرب بأنهم كانوا قبائل تائهة فى فراغ كبير ، ثم يذكرون هذا على أنه حقيقة .. على هؤلاء أن يفتحوا أى كتاب عربى قديم أو ليأخذوا مثلا كتاب تاريخ العرب للدكتور فيليب حورى ليتأكدوا أن بلاد العرب كانت «كخزان ماء ضخم هائل لا يجد محيصا عن الفاضة ما يزيد عن سعته » ، وأن هجراتهم القديمة تشبه – فى الوقت الحديث – هجرات الاوربيين الى أمريكا .

صحيح أن الجزيرة العربية كانت تشبه – كما قيل – وتدا دق بين ثقافتى مصر وبابل ، وأن حضارة الهند لم تكن بمنأى عنهم ، وأن أرض الرافد الواحد وكذلك أرض الرافدين لم تستطيعا استيعابها سياسيا ولكن ثقافتها يمكن الحكم عليها بأنها كانت « ثقافة بحرية » ، لأنها لم تكن أبدا ضد كل ما هو جديد ، ولعل هذا سر من أسرار بقائها .

ثم ان على هؤلاء المشككين أن يدركوا أن هؤلاء العرب حملوا الاسلام فى مدى قرن واحد من المحيط الاطلسى الى تخوم الصين،وأنهم ورثوا – وهم يتقدمون – حضارات دجلة والفرات والنيل وشواطىء البحر الأبيض الشرقية والحضارات اليونانية والرومانية والفارسية دون ان تستطيع أية حضارة من هذه الحضارات التى كانت راسخة فى زمانها أن تستوعب هذه القوة الجديدة التى تضم اردانها على جوهرة نقية من السماء !

ومما يجب التنبيه اليه ان هذه الجوهرة النقية لم تفقد أبدا لمعانها ، والذين يذكرون أن بريقها جف بعد سقوط الأندلس ، وبغداد ، ينسون المدن التى تخطفتها بعد ذلك فى المغرب ومصر وتركيا والهند والسودان ، بل فى عشر دول افريقية جنوب الصحراء ، ودراسة التاريخ دون النظر الى المنطقة الافروآسيوية ككل تقصر الرؤية، وتربى فى الضمير عدم الثقة لان الحضارة التى حملها هؤلاء العرب على طول هذه الرقعة الافروآسيوية – بل أوربا – كانت توجد دائما قوية وعميقة بصورة ما ، وفى ضوء هذا يكون الوقوف بهذه الحضارة عند القرن الرابع عشر شيئا مشكوكا فيه وغير علمى ، ويكون القول « بالانحطاط » – وهذه النغمة تردد كثيرا – غير مقبول فى ضوء النظر العلمى حين تأخذ هذه الحضارة ككل . وكجذور لا تقف عند حد الحدود العربية ! ثم أخيرا كضوء باهر يستعصى دائما – رغم العواصف – على الانطفاء .

ومهما يكن من شىء فالذى تريد أن نؤكده ان العروبة ليست التفافا وفخرا بالماضى ، لأنها قبل شىء نظرية متكاملة تحترم الحياة وتصر على وضع

الانسان في عصره، ولأن فيها دائما جوهرا سماويا ، يستعصى على عمليات الغزو البشري ،ولعل الذين يحذرون من التقليد يكونون على حق حين يعتقدون أن التقليد لا يقتصر على ماضي الأمة ، وانما كذلك على النظريتين الجاهزتين للشرق والغرب ـ وهما في نسيجهما امتداد لماضي هذين العالمين ـ وليس معنى هذا أن نقول « باسقاط » الأمة في فراغ ، ولكن معناه أن نكون دائما أنفسنا ونحن نمد ذراعينا وعقلنا الى كل فكر في العالم !

فهؤلاء الذين تشيع منهم رائحة الماضي ، لايفضلهم أبدا أولئك « المزجون » الذين لا يعترفون الا بأن يقذفوا بلادهم في « المعدة الماركسية » أو في نظرية الحكم التي تحكم العالم الغربي ، ذلك لأنه يوجد دائما عندنا هذا الشيء الذي يستعصى جوهره على وجهتي النظر هاتين ، والذي لا يرفض في الوقت نفسه تجديد نفسه بهما !

فاذا انتقلنا من كل هذا الى التحديق في وجوه الذين عليهم أن يؤكدوا الوحدة والعروبة وضم الصفوف ، وجدنا أن أكثر هؤلاء لا يشغلون أنفسهم بهذه القضايا ، ووجدنا أن الحرب في فيتنام يهتم بها أكثر من الحرب في الجنوب العربي والمنازعات في أمريكا اللاتينية يهتم بل أكثر من الاهتمام بالدول الافريقية المجاورة وغير المجاورة ، ووجدنا من يتخصص في الكلام عن السوق الاوربية دون أن يشير الى امكانية السوق الافريقية والآسيوية وامكان التركيز على اقتصاد هاتين القارتين ، ومن يأسى دائما على الجدار القائم بين المانيا الشرقية والمانيا الغربية دون أن يهتز ولو مرة واحدة على « خط الجير » الذي يفصل بين العرب وفلسطين ، ومن يركز على كوبا ويخطف الكلام خطفا عن الجزائر، ومن يفتك ببعض الدول المجاورة دون أن يترك مكانا لامكان العودة اليها عن طريق الكلمة ، في الوقت الذي يبدو فيه مهذبا و « ظريفا » ، وهو يصك احدى الدول الاستعمارية التي لا تزال دماؤنا وأقواتنا بين يديها .

ان هذه الاقلام يجب أن تتحول سريعا لتكون في خدمة القضايا العربية، ولتكون في مستوى احساس الدولة بقضايا الوحدة والعروبة والاشتراكية العربية وقضايا افريقية .. اننا اذا كنا رفعنا في الماضي شعارا يقول « مصر للمصريين » ، فان الشعار الذي يجب أن يرتفع الآن هو « مصر للعرب » ، بل يجب أن يكون « الجمهورية العربية المتحدة للعرب ! »

.. وهذا هو الطريق !

رسالة الى تولستوى :

بهرني وأنا اتصفح المصادر والمراجع التي كتبت عن الامام « محمد عبده » ، أنه كان مفتوح الذراعين لكل ما يصدر في الشرق والغرب ، ولا شك أن هذا هو الذي أعطاه تلك الرحابة الفكرية ، وجعله في الوقت نفسه شديد الايمان بحضارته العربية لأنه كان يدرك أسرارها ، وكان يعتصر نور عينيه وهو يعمل على استيعابها في صبر وأناة ، بل انها هي التي دفعته دفعا ليعرف الحضارات الأخرى ويحتك بها ، فكل حياته ـ وحيات جيل كبير ممن جاءوا بعده ـ تؤكد أن من يستوعب الحضارة العربية ويقف على أسرارها يستطيع أن يقاوم التحديات من اية حضارة ، بل يستطيع أن يحب كل الحضارات ، ويقبل عليها بشغف ، ذلك لأنه يكون قد عرف نفسه ، ومن ثم فلا بد له من معرفة الآخرين .

واذا كنا نعرف الكثير عن معرفة الامام وكتاباته لعدد من مفكري الغرب مثل جوستاف لوبون ، هوبرت سبنسر ، ادوارد براون ، والفرد بلنت وغيرهم .. فانه قد بهرني برسالة رقيقة كان قد بعث بها الى « تولستوى » حين حكمت عليه الكنيسة القيصرية بالحرمان لنشره كتاب البعث .

وقد آثرت أن أنقل هذه الرسالة الى القارىء لاحثه على « عقد صداقة » بأحد وجوهنا الفكرية القريبة ، وليقف على الرحابة وسعة الفكر التي كان يتمتع به هؤلاء الذين تلوى عنهم الوجوه الآن .

« أيها الحكيم الجليل مسيو تولستوى

لم نحظ بمعرفة شخصك ، ولكنا لم نحرم التعارف مع روحك ، سطع علينا نور من افكارك ، واشرقت في آفاقنا شموس من آرائك ، ألفت بين نفوس العقلاء ونفسك .

هداك الله الى معرفة سر الفطرة التي فطر الناس عليها ، ووقفك على الغاية التي هدى البشر اليها ، فادركت أن الانسان جاء الى هذا الوجود لينبت بالعلم، ويثمر بالعمل، ولأن تكون ثمرته تعبا ترتاح به نفسه ، وسعيا يبقى به ويربى جنسه . وشعرت

بالشقاء الذي نزل بالناس لما انحرفوا عن سنة الفطرة ، وبما استعملوا قواهم - التي لم يمنحوها الا ليسعدوا بها - فيما كدر راحتهم وزعزع طمانينتهم ٠

ونظرت نظرة فى الدين مزقت حجب التقاليد ، ووصلت بها الى حقيقة التوحيد ، ورفعت صوتك تدعو الناس الى ما هداك الله اليه ، وتقدمت أمامهم بالعمل لتحمل نفوسهم عليه ٠

فكما كنت بقولك هاديا للعقول ، كنت بعملك حاثا للعزائم والهمم ، وكما كانت آراؤك ضياء يهتدى به الضالون ، كان مثالك فى العمل اماما يقتدى به المسترشدون ، وكما كان وجودك توبيخا من الله للاغنياء كان مددا من عنايته للضعفاء والفقراء وان أرفع مجد بلغته ، وأكبر جزاء تلته على متاعبك فى النصح والارشاد هو هذا الذى سماه الغافلون بالحرمان والابعاد ، فليس ما حصل لك من رؤساء الدين سوى اعتراف منهم أعلنوه للناس انك لست من القوم الضالين، فاحمد الله على أن فارقوك فى أقوالهم ، كما كنت فارقتهم فى عقائدهم وأعمالهم هذا وان نفوسنا لشيقة الى ما يتجدد من آثار قلمك، فيما تستقبل من أيام عمرك ، وأنا نسأل الله أن يمد فى حياتك ، ويحفظ عليك قواك ، ويفتح باب القلوب لفهم قولك ، ويسوق النفوس الى التأسى بك فى عملك والسلام ٠٠ » عن كتاب رائد الفكر المصرى للدكتور عثمان أمين »

« عبده بدوى »

وحي الربيع

للشاعر : يس الفيل

عد يا ربيع فان فيك شبابى
عد بى الى مهد الحنان وخلنى
دعنى هناك ٠٠ ففى الخلود عوالم
وعلى الجداول يا ربيع بقية
وعلى الثرى تحت الظلال ملامح
بنت القصور من الرمال واطلقت
وغدت مع اللهو البرىء تحوطها
وتقيم عرسا فى الخلاء لدمية
وتعود بعد الشوط باسمة المنى
أمس ندى لو رجعت بعطره
أنا يا ربيع أعيش وردى الرؤى
ان جئتنى بالأمس ٠٠ أمس مراحنا
فى رقصة الغدران تلمع قصتى
فى همسة الأغصان تقرأ بهجتى
وفى وشوشات الطير تسمع عزفى
عاد الربيع لها وبعثر عندها
فتوردت أعوادها ٠٠ وتعانقت
يا كم تلوح مع البعاد بهية
لكنها أبهى ٠٠ وكم لبهائها
ليداعب النسمات ، يحتضن الربى
ويصوغ من وحى الربيع قصيدة

يجتر كأس الصفو دون حساب
عند الطبيعة ألتقى بصحابى
جذلى ٠٠ وفى الأفق البعيد رغابى
من أمسنا ترنو لطيف شبابى
لبراعم صلت بلا محراب
فيها الأمانى فى حمى الحجاب
بحدائق من يابس الأعشاب
هامت غراما بالفتى الخلاب
للأم تحكى جولة الأتراب
ما كنت تسمع يا ربيع عتابى
ان ضوعت كف الطيوب رحابى
وأعدتنى للناى بعد غياب
سكرانة فى جدول منساب
عبر النسيم مواكب الأحباب
ذكرى ٠٠ تعيش بخيمة اللباب
عطر اللقاء على ثرى المحراب
أغصانها ، فى مرتع الأتراب
كبهاء حسنا وراء نقاب
ود الغريب العود ٠٠ دون اياب
يختال بين جداول وهضاب
فمن الربيع قصائدى وكتابى



خيال الظل
وموجة المسرح التعبيرى

بقلم : جلال العشرى

مهما اختلفت الآراء فى مسرح الدكتور **رشاد رشدى** فالذى لا اختلاف عليه أننا هنا بازاء مسرح جديد يختلف اختلافا نوعيا عن كلا المسرحين .. التقليدى والواقعى . أعنى عن المسرح التقليدى الذى بدأه ومضى فيه توفيق الحكيم ، والمسرح الواقعى الذى بدأه نعمان عاشور ومضى فيه لطفى الخولى وبلغ غايته عند سعد الدين وهبه .

هذا المسرح الجديد هو المسرح التعبيرى .. تعبيرى لأنه يهتم بالواقع الداخلى أكثر من اهتمامه بالواقع الخارجى،وهواذيحاول تصويره بأنغامه الحادة وألوانه الصارخة ، ولا معقولية يتجه الى دراما العرض الذاتى لكى يتحرر من خطة الزمن الواقعية ومن التتابع المنطقى بين الأحداث ، ويستخدم المونولوج الداخلى لكى يعبر عن مجرى الشعور وتيار الوعى متخلصا من التطور التقليدى لمراحل الحدث، وأخيرا يلجأ الى الرمز ليعبر به عن المعانى والايحاءات دون لجوء الى تبريرات واقعية أو تقليدية . واذا اختلفت الوسيلة التى يلجأ اليها التعبيريون للتخلص من مقومات الشكل الواقعى ولتحقيق الاصالة المتبادلة بين الداخل والخارج أو بين الذات والموضوع وكانت هذه الوسيلة هى الأقنعة عند أونيل والجنون عند بيراندللو والتداعى النفسى عند آرثر ميللر فهى الحلم عند رشاد رشدى فى مسرحيته الأخيرة « **خيال الظل** » .

وقبل الكلام عن هذه المسرحية لا بد لنا من أن نضع فى أذهاننا هذه الاعتبارات مجتمعة والا وقعنا فى الخطأ الذى يقع فيه الكثيرون عندما يتصدون لنقد مسرحية تعبيرية بمفاهيم المسرح الواقعى فيبحثون عن أشياء لا وجود لها ويصدرون أحكاما غير مشروعة ولا متجانسة مع العمل لأن الكاتب لم يلتزم بها أصلا . فليس من المعقول فى الدراما كما فى الفلسفة أو فى الرياضة أن أجىء الى كاتب ماركسى وأنقده من وجهة نظر وجودية أو العكس لأن الماركسى يبدأ من نقطة غير التى يبدأ منها الوجودى أما أن نقطة البداية صحيحة أو غير صحيحة فموضوع آخر ، تماما كما أنه ليس من المعقول أن أجىء الى عالم مثل لوباشوفسكى يفترض أن المكان على شكل السطح الداخلى للاسطوانة وينتهى الى أن مجموع زوايا المثلث أقل من قائمتين أو أن انتقد الاثنين من وجهة نظر اقليدس الذى يفترض أن المكان مستو استواء أفقيا وينتهى الى أن مجموع زوايا المثلث تساوى قائمتين بلا زيادة ولا نقصان .

وهذا معناه أن النسق الدرامى كالنسق الفلسفى أو الرياضى على الناقد أن يلتزم بما التزم به الكاتب من مصادرات يسلم بصحتها منذ البداية ثم ينتقل بطريقة استنباطية الى ما يترتب عليها من نتائج

فتكون هذه النتائج هي النظريات . وهنا يجيء الناقد ليتاخذ أحد موقفين .. اما أن يرفض المصادرات التي بدأ بها الكاتب وبالتالي يرفض النسق كله ، أو يقبل هذه المصادرات ولو نظرا ثم ياخذ في نقد صحة استدلال النتائج من المقدمات او سلامة المنطق الداخلي بين أجزاء النسق . هذا هو النقد العلمي أو النقد بمعناه الصحيح لأن ما عداه ليس نقدا وانما هو شيء يتراوح بين الرأي الشخصي البحت أو الانطباع الذاتي الخالص أو الرغبة في التعبير لمجرد التعبير .

فاذا وقفنا فوق هذه القاعدة النقدية وحاولنا أن نتعاطى مسرحية « **خيال الظل** » لوجدنا ان العين التشكيلية والأذن الموسيقية هما المفتاحان الأساسيان لفهم هذه المسرحية . فالمسرحية يمكن النظر اليها على أنها عدة تجارب مركبة في وحدة تشكيلية واحدة أو أنها لوحة تشكيلية كبيرة تتكرر فيها الاشارة الى الحوادث نفسها كان كل حادثة «تيمة» في اللوحة تأخذ تنويعات مختلفة من حيث الظل واللون او مقابلات متنوعة من حيث العمق والتسطيح .. فالكاتب يعطيك « التيمة » صارخة في أمامية الصورة ثم يكررها خافتة في خلفية الصورة ثم يقابلها بتنويعات أخرى مختلفة حتى تتكامل عناصر الصورة وتصبح الصورة وحدها هي الكفيلة بنقل كل ما يقصده الكاتب دون حاجة الى مجاوزتها لتقرير هدف او لابداء رأي . هذا هو الوجه التشكيلي للمسرحية أما الوجه الآخر فلا يعطينا تحليلا للعلاقات بقدر ما يعطينا هذه العلاقات نفسها مركبة تركيبا يتشابه أساسا مع تكنيك الموسيقى السيمفونية ، فهنا أيضا تتكرر الاشارة الى الحوادث نفسها كان كل حادثة « موتيف » في السيمفونية تعزفها كل مرة أداة بشرية مختلفة أو وحدة أوركسترالية مغايرة ، والسيمفونية من بدئها حتى النهاية يتردد فيها هذيان « زوال » المجذوب كانه نوح على الحاضر وهو يئن تحت وطأة الماضي أو كانه بكاء على الماضي وهو يبعث طيفها أو خيالا من عالم الظل .

والبناء السيمفوني في المسرحية مقام على أربع حركات تختلف كل حركة عن الأخرى اختلافا أدائيا على الرغم من أن « التيمة » الدرامية واحدة ، فالمسرحية كما قلنا تعتمد على مقومات الشكل الكيفي على المقابلة والمفارقة أو التشابه والاختلاف ...

فالوحدة المؤلفة من عادل (**كمال ياسين**) وسلوى (**سميحة ايوب**) وبينهما عايدة تتشابه مع الوحدة المؤلفة من زوال (**توفيق الدقن**) وعدية (**سميرة محسن**) وبينهما العروسة رغم وجود الاختلاف بين الوحدتين . والوحدة المؤلفة من د . منصور (**عزت العلايلي**) ونوال (**تهاني راشد**) وبينهما لوتا تختلف عن الوحدة المؤلفة من حسن (**عبدالمنعم عطاء**) وسعاد (**بثينة حسن**) وبينهما ليلى رغم وجود التشابه بين الوحدتين . أما التيمة الأساسية التي كون منها رشاد رشدي تشكيلاته الدرامية فهي الحب .. الحب باعتباره وسيلة لتحقيق التكامل النفسي ومن ثم التكامل الاجتماعي وذلك بأن تخرج « الأنا » من عزلتها لتلتقي « بالهو » فيتم استعادة « النحن » . لهذا لم يكن عبثا أن جاءت المسرحية في ثلاثة فصول يقابل كل منها حركة الحب في تطوره الديالكتيكي .. ففي الفصل الأول تخرج الأنا من عزلتها وهذه هي « الدعوة » ، وفي الفصل الثاني تلتقي بالهو وهذا هو « نقيض الدعوى » ، وفي الفصل الأخير يتم استعادة النحن وتلك هي النتيجة .

وحين تبدأ المسرحية نجد أن معظم الأحداث قد وقعت وأن الكاتب لا يستدعيها الا ليعرف عليها النظارة ، وهو لا يستدعيها كما وقعت بالفعل بل ليلقي عليها في كل مرة ضوءا جديدا ليرى أثرها في نفوس الابطال ، فالحوادث نفسها لا تهم وانما الذي يهم هو ما يحيط بها من ظروف وما يتخلف عنها من وقع . فالفعل هنا هو البحث عن الحقيقة ومعرفة الحقيقة ليست ذكاء وانما هي موهبة .. حاسة .. كما قال أحد أبطال المسرحية . لهذا كان طبيعيا أن ياخذ الفعل في المسرحية صورة التحقيق في جريمة قتل مضى عليها عام، وأن يرتكز أساسا على التحليل الذي يرتد بنا الى الوراء بقصد معرفة الجاني واكتشاف السر ، والبطل الرئيسي في المسرحية (عادل) شخص غارق في الماضي ولا يعيش الا على أطراف الحاضر ، ولما كان الماضي غير موجود بالفعل وانما الموجود الحقيقي هو تذكر الماضي أصبح ماضيه هو حاضره كما أصبح الماضي ظلا والحاضر خيالا والحلم هو وسيلة الانتقال بين القطبين . وعادل هذا وكيل نيابة ذكي ممتاز تولى التحقيق في هذه القضية على أثر بلاغ تلقته النيابة يفيد أن الألفي بك المستشار السابق لم يمت ميتة

طبيعية وانما دس له السم فى الطعام · وعادل شخصية غير سوية فى هذه الأيام لاحساسه الحاد بأنه فقد القدرة على معرفة الحقيقة ، الحقيقة التى لم يكن الألفى بك يخطىء فى معرفتها أبدا · لذلك كانت صورة القتيل المعلقة فى صالون الفيلا مرآة يرى فيها عادل صورة فشله بل صورة مصرعه ، ولذلك راهن على نجاحه فى هذه القضية بوجوده كله ··· وهذا فظيع ، واللى افظع منه ان المحكمة دايما بتاخد بكلامى وتصدقنى ، طبعا ما أنا فى نظرهم لسه عادل بتاع زمان واللى عمره ما وجه اتهام غلط ·· مش عارفين ان عادل مات وانتهى » · وعندما تسأله سلوى : « طب ليه ما بتستقيلش ؟ » ·· يرد عليها عادل : « على أمل انى ارجع أعرف الحقيقة » ·

واخيرا يعرف عادل الحقيقة ، يعرفها فى شخص سلوى أرملة الألفى بك التى يلتقى بها فى ظروف التحقيق فيرى فيها صورة حبه القديم ، صورة عايدة التى انفصل عنها وبانفصاله عنها فقد كل شىء ··· مصدر وحيه وينبوع الهامه ورصيده فى معرفة الحقيقة · وعبثا يحاول ان يستبدل عايدة بسلوى أو أن يحب سلوى فى شخص عايدة لأنه انما يزداد ابتعادا عن نفسه وعن الحقيقة ،فالحقيقة صادقة لا تعرف الزيف ، واحدة لا تعرف الازدواج · وهنا يدرك عادل ضرورة بذل الجهد النفسى والارادى للتخلص من الماضى بكل علائقه واستعادة الحاضر بكل ابعاده · وما أن يمنح ذاته لسلوى من حيث هى سلوى لا من حيث هى شبيهة عايدة حتى يسرى بينهما تيار الحب ويرى فى عينيها صورة ذاته الأصيلة ويحس بقدرته على معرفة الحقيقة · فهو قبل الحب لا شىء وعند الحب كل شىء لأن الحب هو الذى يخلع على وجودنا كل ما له من معنى ·

هذا هو الوجه المشرق من الحب ·· الحب عندما يكون مصدر وحى والهام · ولكن المؤلف لا يكتفى بهذا وانما يقدم لنا الوجه الآخر ، الوجه المعتم عندما يكون الحب أداة تدمير واهلاك · وتلك هى تجربة زوال المطرب البلدى المشهور الذى كان صديقا للألفى بك وزوجه من هدية الفتاة التى كانت تعمل عنده فى القصر · ويكتشف زوال ليلة زفافه أن عروسه ليست عذراء فلا يحتمل هذه الصدمة الأليمة التى يفقد على اثرها صوته ويقضى ايامه هاربا من الفتاة عاجزا عن مواجهة الحقيقة ·

لقد اهتز كيانه النفسى واختلت أمامه قوى المجال الاجتماعى ففقد القدرة على العمل ·· فهو هارب من ذاكرته ومن نفسه ومن هدية ، هارب من الحقيقة الى ظلها ومن الواقع الى خياله ، هارب من عروسته الآدمية الى حيث يبحث شاردا عن عروسة من عرائس المولد · وتحاول هدية أن تذكره بنفسها فتجسد أمامه ليلة الزفاف ولكن زوال يفقد سيطرته على نفسه تماما ويحطم صورة الماضى الذى ظل يهرب منه ويتناساه ، يقتل هدية وتتقطع أحباله الصوتية ويختفى عن الأنظار · لقد سحقه الماضى لأنه لم يقاومه بحب حقيقى ولم يواجهه بحب جديد · وعندما فقد القدرة على الحب فقد كل شىء ولم يعد شيئا على الاطلاق ·

ولا يقف المؤلف عند الحب فى حالتى السلب والايجاب وهما النمطان الأساسيان لتجربة الحب فى حياة الانسان ، بل يقدم لنا الظل المصاحب لكل من النمطين أعنى الحب على مستوى الوعى والادراك وهو الذى يستمد قوته من ثقة الذات بنفسها وبموضوع حبها كما فى حب سعاد وحسن الذى لم يستطع وكيل النيابة أن يصدعه باقحام عنصر ثالث بينهما هو ليلى · فكلاهما يعرف كيف يحيا للآخر وكيف يلتمس من الآخر كل أسباب وجوده وكيف ينتظر من الآخر كل مقومات سعادته · فالحب هنا تجربة استيعابية شاملة · أما النمط الآخر فهو الحب على مستوى التملك أو الرغبة فى الامتلاك ، كما فى حب لوبا الفتاة المستهترة التى لا تعرف للحب معنى الا أن يكون معنى الغزو والسيطرة ، فهى لا تستقبل حبا جديدا لتضحى به حبها القديم بل لتضيفه الى ضريح الذكريات على أمل أن تحيا الماضى والحاضر معا ، ولكنها تفقد الاثنين بالاضافة الى نفسها وآخر مختاراتها وهو الدكتور منصور الذى يتخلى عنها ويتقدم لخطبة نوال ايمانا منه بأن الحب لا يمكن أن يكون تجربة ثانوية أو عرضية أو هامشية ، بل هو بالضرورة تجربة جوهرية أو جذرية أو أساسية ·· يكمل الواحد فيها الآخر ويتكون من اتحادهما تكامل بشرى حقيقى ·

هذه هى التيمة الأساسية فى مسرحية « **خيال الظل** » ، تيمة الحب بتنويعاتها المختلفة وممكناتها الوفيرة ، وقد استطاع رشاد رشدى أن يصوغ هذا التصميم الدرامى المعقد باستاذية كاملة وأن يضفى عليه من روح الفنان ولمساته الشىء الكثير ، فالرموز

استخدمت بدرجة كبيرة من المهارة وبخاصة عرائس المولد في مقابل العرائس الآدمية ، والغربال المعلق في صدر زوال اشارة الى العار الذي يلازمه ويحيط به ، والجلاليب التي يضعها زوال فوق جسد هدية اشارة الى محاولته اللاواعية في تغطية العار ،وشجرة الصفصاف التي يتمنى عادل أن يرقد عندها تشير الى الخصوبة الانثوية أو المرأة العامرة ٠وكذلك الأسماء اختيرت بحيث تكون ذات دلالة : عادل استمد اسمه من منصبه كوكيل نيابة ، وسلوى كانت دواء للالفى بك وعزاء لعادل ، وعايدة هي الذكرى التي تروح وتجيء في مخيلته ، وزوال كان طيفا في عالم الواقع وظلا في دنيا الحقيقة ٠ ولا شك أن شخصية زوال كانت أمتع الشخصيات واروعها جميعا ، فقد وفق رشاد رشدى في تفصيلها ونطاقها باجمل ما في المسرحية من حوار ، فكلامه في بعض الأحيان أقرب الى لغة الشعر ولا يخلو من الفلسفة أو على الأقل من حكمة الحياة ٠

فاذا انتقلنا من النص الى الاخراج استطعنا ان نقول ان كمال ياسين كان ممتازا بصفة عامة ، وكان يستطيع أن يرتفع بالاخراج الى مستوى النص لو أنه اقتصر على قيادة الحركة التمثيلية ولم يشترك في التمثيل ، فالواضح أن موهبته الاخراجية أكبر بكثير من موهبته التمثيلية فضلا عن توزعه بين التمثيل والاخراج حتى يشعرك في بعض الاحيان كأنه يدرب الممثل الذي أمامه على أداء دوره ٠ والذي آخذه على الاخراج بعد الاشادة به بعامة وبخاصة مشهد اللقاء الرومانسي بين عادل وعايدة في بيت الزوجية قرب نهاية الفصل الأول ، ومشهد الحوار المزدوج بين عادل ولونا في الفصل الثالث وبينه وبين منصور في نفس الفصل ٠ هو الترابط الآلي بين اطفاء النور ووقوع الحلم فما ان يطفأ النور حتى يبدأ الحلم هكذا بطريقة آلية مباشرة وكان الحلم فعل منعكس شرطى يبدأ بمجرد اطفاء النور ٠ وكذلك التشابه بين حالات الحلم وحالات التذكر ، فليست كل حالات الاسترجاع تتم عن طريق الحلم ،ان بعضها يتم عن طريق التذكر، كما في حالة اللقاء بين عادل وعايدة في أثر خروج سلوى لاحضار الشاى قرب نهاية الفصل الاول ٠ وكذلك الطريقة التي يصرف بها وكيل النيابة كاتب التحقيق لم تكن معقولة ولا مبررة خاصة وأن التحقيق سرعان ما يستأنف من جديد في غير وجود الكاتب ٠ وأخيرا الاكثارمن دخول زوال وخروجه على نحو أساء الى بعض المواقف واستثار ضحك الجمهور ٠

فاذا انتقلنا من الاخراج الى التمثيل كان أول ما نلاحظه هو براعة المخرج في اختيار الأوركسترا التمثيلي الذي أجاد عزف هذه السيمفونية المسرحية المعقدة الالحان ٠ على رأس هؤلاء الممثلين العملاق توفيق الدقن الذي استطاع أن يملأ المسرح بمفرده وأن يفجر كل ما في دوره من طاقات درامية من غموض وشاعريه ومن دروشة وصوفية ومن قتامة واشراق ، اما مقطوعة البانتوميم فقد بلغ فيها الذروة ٠٠ ألفها وأخرجها وقام بتمثيلها في وقت واحد ٠ واستطاعت سميحة ايوب أن تحتفظ بمستواها الرفيع وأن تؤدى دورها المزدوج بلياقة وفهم كبيرين ٠ أما المُمثل الجديد الذي يستحق الاشارة اليه فهو **عزت العلايلي** ، ان دوره في هذه المسرحية يشهد له بلياقته الفنية وكفاءته العالية ، كان يمثل دوره برشاقة وانسيابية وكأنه قضى على المسرح عشرات السنين ٠

ولا أنسى بطبيعة الحال الديكور والاضاءة اللذين كانا أكثر من الموسيقى وفاء للنص والاخراج ، فقد اسهمت الاضاءة بشكل واضح في حالات الانتقال من الواقع الى الحلم وفي ابراز مواقف التناقض الكيفي بين الظل والخيال ٠

« جلال العشرى »



الكتب نقد وتعريف

السلطان والشيطان

قصة «محمد عطا»

من اللحظة التى تسلم فيها الظاهر بيبرس مفاتيح قلعة الجبل بالقاهرة ايذانا بتوليه سلطنة مصر بعد مصرع سلطانها السابق قطز ،يبدأ الأستاذ « محمد عطا » قصته الطويلة الرابعة بعد قصصه الطوال : « حب وحرمان » و « هبوب العاصفة » و « المملوك العاشق » و « أرض الصبر » .

وفى الفصل الأول منها يصور المؤلف كيفيةاستيلاء بيبرس على السلطنة المصرية بعد ما تخلص بالقتل من سلفه ورفيق عمره قطز ، ويمهد لشخصيتين هامتين من أشخاص الرواية واحداهما شخصية الأسيرة المغولية « شيرين » التى جمع المؤلف بينها وبين بيبرس على مشاعر متعاطفة ، والثانية هى شخصية الشيخ خضر العابد الذى تحدثت عنه شيرين الى السلطان ومهدت لمكانته فى الرواية .

وفى الفصلين الثانى والثالث يصور المؤلف رد الفعل الذى احدثه مصرع قطز فى نفوس المصريين ، وكيف برزت روح السخط على بيبرس ، وعلى المماليك الظلمة الغرباء الذين يجب الخلاص منهم ، وكيف تجسمت هذه الأفكار فيما اسماه المؤلف « ثورة لكورانى» التى باءت مع الأسف بالفشل .

ومن الفصل الرابع حتى الحادى عشر ، يدخل الشيخ خضر أو الشيطان الى مسرح الاحداث، وينجح سريعا فى الاستيلاء على بيبرس ، ويحس المقربون الى السلطان بما للرجل من مكانة فتزداد سطوته ويعظم نفوذه ، ويتجه اليه طلاب الحاجات يتوسلون به لدى السلطان ويشركونه فى أمرهم ، الأمر الذى يثير حفيظة وزراء السلطان ورجاله فيكتمون حقدهم على الرجل ، ويتلمسون له السقطات ، وان كانوا بعد لم يجدوا اللحظة المواتية .

ومن الفصل الحادى عشر حتى ختام الرواية تبدأ الستور الزائفة التى كان الشيخ قد أرخاها من حواليه تنهار واحدة واحدة ، ويبدو على حقيقته للناس ، ثم للسلطان شيطانا مريدا ، بل شرا من الشيطان .

وحين تقترب الرواية من ختامها يوزع المؤلف على كل ذى دور مايستحقه من جزاء ، فيذهب بالشيخ الى اعماق السجن فى جب تحت الأرض حتى يموت

بقلم: عبد الصبور مرزوق

فيه ، ويذهب بالسلطان بيبرس الى الحدود الجنوبية للأناضول فيلاقى « المغول » هناك فى معركة قرب « افسوس » يخرج منها منتصرا ، ولكنه لم يكن البطل ، وانما البطل الحقيقى هو «عبد الملك الأيوبى»، الذى يحس السلطان بخطره على سلطنته فيدس له السم فى الشراب ثم ينسى فى نشوة السكر فيشرب بقية الكاس وتكون النهاية .

وبانتهاء القصة يكون المؤلف قد سلط كثيرا من الأضواء على فترة هامة من تاريخنا كان محور الصراع ومركز الحركة الفنية فيها هو البطل بيبرس البندقدارى صاحب الدور الكبير فى وقف الزحف المغولى المدمر صوب الشرق العربى والاسلامى ، والرجل الذى وضع فى نفس الزمن حدا لاحدى الموجات الصليبية العاتية التى قصدت الشرق العربى لتستعمره تحت ستار الدين .

ومع أن التاريخ هو عماد العرض القصصى فى الرواية فان المؤلف بما توفر له من ممارسة وبالثياب فى الخطا الذى استفاده من تجاربه القصصية السابقة ، لم يسق الوقائع بجمودها ، وحرفيتها ، وانما أبدع فى التقاط الزوايا الفنية التى أتاحت له فى مجال العرض والتحليل أن يشد اهتمام القارىء ويفرض عليه متابعة الأحداث مشهدا وراء الآخر .

فالسلطان بيبرس ليس كما يراه المؤرخون مجرد بطل قهار فى يده سيف يقطر المجد من ذبابه ، ويتعلق النصر بكل خطفة من ضوئه ، وليس فقط حامى حمى الاسلام ومنقذه كما صوروه .

ولكنه الى هذا انسان وبشر ، يخفق قلبه للحياة ، وتضطرب نفسه لما تضطرب له نفوس الآخرين ، من الرضا والغضب ، ومن الكراهية والحب ، ومن الانهيار والتماسك ومن معاناة وخز الضمير ، ومن السير على بقاياه ٠

ثم هو قبل هذا الانسان البشر بما يضم عليه أطواءه من تناقض ، فهو القهار الفاتح ، وهو فى اللحظة نفسها الرجل الذى تخلع فؤاده كلمات المنجمين ، وتذهب به الى المدى الذى تكون فيه ذات أثر على خططه وسياسته ، بل على طبيعته الحربية فى بعض الأحيان ٠

ثم هو بعد هذا كله واحد من المماليك الذين استقرت في وجدانهم عقدة الاسترقاق وبقيت ـ حتى لو أصبحوا سلاطين ـ كالجرح ينبض بالالم بين بين الحين والحين ، وهو واحد من المماليك بكل أساليب عصرهم الذى يرى الوسيلة دائما فى خدمة الغاية ، حتى ولو كان التوسل بطعن الصديق وقطع اليد التى امتدت بالجميل والنعمة والحياة ٠

وبهذا التناول يكون المؤلف قد وفق الى أبعد مدى فى تصوير شخصية البطل واستبطان أغوارها، وتقديمها ، بل تقديم العصر كله فى أقرب صورة الى ذهن القارىء والى حسه وشعوره ٠

***

اما بقية الشخصيات فيضع المؤلف فى قمتها شخصية الشيطان الذى سماه الشيخ خضر ذلك الصوفى الذى كان عابدا أو على الأصح متظاهرا بالتعبد حتى تمكن من نفس السلطان وبدأ يعبث بتفكيره ما شاء ، حتى كان يوم سقط عنه القناع ونزل الى أعماق السجن ليواجه الموت فيه ٠

وبعد الشيطان تبرز شخصية « شيرين خاتون » الأسيرة المغولية التى فتن السلطان برجاحة عقلها ، وجمالها وفتنتها وقربه اليها ولاؤها للاسلام، وحسن رأيها فى مواجهة المصاعب ، وكانت هى بالاضافة الى شخصية الخادم عنبر تمثلان الواحة التى يفىء السلطان الى ظلها كلما أجهده السير فى حر المتاعب والهموم ٠

وثمة آخرون من بقية الركب السلطانى ٠ بين حجاب ووزراء ٠

وعلى الجانب الآخر ـ جانب الشعب المصرى ـ تبرز شخصية الشيخ الكورانى الثائر على استبداد المماليك والذى يبدو كالرمز لروح المناضلة والقومية المصرية المتمردة على استبداد الغرباء ٠

ومن هذه المجموعة من الأبطال والشخصيات الثانوية تتحرك القصة منذ بدأت بتسلم بيبرس مفاتيح قلعة الجبل فى القاهرة حتى كانت نهايته وطويت صفحته ٠

وقبل أن أمضى فى متابعة العرض أقف قليلا أمام الاتجاه التاريخى الذى انتحاه الأستاذ عطا ، وأكثر فيه ٠

فقراء عطا قد طالعوا له من قبل عملين أدبيين هامين فى الاتجاه التحليلى والواقعى ، أولهما قصته القصيرة « هكذا عشنا » والتى ساقها مساق قصص الحياة على غرار أيام طه حسين وكان تحليله فيها أبرز وأوضح من مجرد تاريخ الحياة ، وكانت ـ وان لم يكتمل فيها الفن القصصى ـ تمثل بالنسبة للمؤلف فيما أرى مرتقى صعده منذ أول محاولة ، ودل فيه على استعداده الكبير للقصة الاجتماعية والتحليلية معا ٠

وكانت الثانية ـ فى نفس الاتجاه ـ هى قصته « هبوب العاصفة » التى شاكلت الواقع المعاصر وسجلت بعض نبضاته ٠ ولكنه بعدهما قد ارتد صوب التاريخ وأخرج « المملوك العاشق » و « أرض الصبر » و « السلطان والشيطان » ٠

واذا كان كثيرون من الكتاب يتكلون على التاريخ فى صدر انتاجهم القصصى لأن فى الواقع الاجتماعى مايعوزهم ، أو مايكون أحيانا فوق مستوى تناولهم ، فلست أدرى ما الذى لوى قلم الأستاذ عطا ثانية نحو التاريخ ، وهو القادر على التحليق فى آفاق حياتنا وواقعنا ، والقادر أيضا على النفاذ الى أعماق نفوسنا وصميم مشاكلنا الاجتماعية ؟

ولقد يرتضى من المؤلف أن تكون لقلمه جولاته فى شتى الاتجاهات على أن يكون متجهه دائما هو حياة الناس ومتاعبهم ٠٠ لا صوب الماضى الذى اندثر ٠

اقول هذا .. لا تهوينا من قيمة الماضى ، فانه دائما دعامة الحاضر ، ولكن لأن المؤلف - من حيث الكم على الأقل - قد أشبع من قلمه هذا الماضى ، فى الوقت الذى لا يزال خطوه على طريق الواقع المعاصر محدودا بقصته الأولى « هبوب العاصفة » .

***

ولقد اثبت الأستاذ **محمد عطا** بقصصه المختلفة نمو المقدرة القصصية عنده فى كل قصة عن سابقتها ، ولقد حقق فى هذه القصة تطورا ملحوظا فى رسم الشخصيات بدقة تبرز خصائصها وملامحها ، مع النفاذ الكاشف الى أعماق كل شخصية وتطويرها ، وابراز الدوافع المؤثرة فيها .

كما يتضح تمكنه من فنية العمل القصصى فى الحبكة الفنية ، وتحديد دور كل شخصية حتى لا تجاوز مارسمه له ، بالاضافة الى مقدرة فى نثر بواعث التشويق والاثارة ، واستخدام الأحداث الصغيرة لتكون فى خدمة التحولات البارزة فى المواقف ، أو فى تصرفات الأبطال .

فحين يبدى السلطان مجرد اهتمام ببناء زاوية « الشيخ خضر » ، لا يمر هذا الاهتمام بما يساويه من بساطة لدى رجال السلطان ، وانما يعكس فى نفوسهم الشعور المرير بخطر ذلك الشيخ الذى انتزع السلطان من أيديهم ، وتظل تلك المشاعر تنمو ، وتتجمع حتى تتحول الى مايشبه تنظيما لمحاربة الشيخ وتلمس سقطاته ، فاذا أتاح لهم « دانيال » أن يقفوا على بعض مخازيه كانوا أسرع الناس الى استخدامها واذاعتها وتبليغها مضخمة الى السلطان .

ولكن ثمة ملاحظات تستوقف النظر ، ولابد من الاشارة اليها . فمع ان المؤلف قد اعتبر الشيخ خضر هذا هو البطل الثانى فى القصة ، وقرن اسمه باسم السلطان وسماه الشيطان ، فما أبرزه المؤلف من « شيطنة » هذا الرجل يؤهله لأن يكون فى هذه المنزلة .فمعظم المواقف التى رأيناه فيها - أو أراه المؤلف لنا - مع السلطان لم تكن تعدو تفسير أحلام ، أو تنبؤات ، أو مايشبه المواعظ الخفيفة ، صحيح انها كانت تنبؤات لها بعض الآثار على السلطان ، ولكنها فى جملتها آثار هينة بحيث لا يستاهل الرجل أن يكون من السلطان فى الموضع الذى كان فيه « راسبوتين » من القيصر أو « الشيخ الصيادى » من السلطان عبد الحميد .

وملاحظة اخرى قد يراها غيرى من توفيقات الأستاذ عطا ، ولكنى احذره واخشى عليه منها ، وهى أن الاتجاه التاريخى قد استحكم فى فنه القصصى الى الحد الذى جعل القصة كلها تكاد تقوم على فكرة أن التاريخ يعيد نفسه ، فمن أبرز نقاطها أن الأزمة بين قطز وبيبرس نشأت بالتحديد فى معركة « عين جالوت » التى كان الدور الحربى الأول والبطولة الرائعة فيها لبيبرس ، ولكن المؤرخين نسبوها الى السلطان لانه سلطان وقد أحس السلطان بالخطر فشرع فى التخلص من بيبرس ، فتغدى به بيبرس قبل أن يتعشى به .

ونفس هذا الحدث هو الذى جعله المؤلف مركز الأزمة بين بيبرس وعبد الملك الأيوبى فى معركة « افسين » والذى كان بداية النهاية لبيبرس كما كان بداية النهاية لسلفه قطز .

والذى أخشاه من وعى الأستاذ عطا بالتاريخ أن يستبد به التاريخ يوما فيفقده المقدرة على التحليق والتحليل بعيدا عن حتمية التاريخ .

أما الملاحظة الثالثة والأخيرة فهى ظهور شخصية المؤلف فى الصفحة الثالثة عشرة - من القصة على لسان شيرين التى تقول للسلطان فى حنان :

« يا للحرب من شيطان اعمى !!

« لماذا لا يحيا الناس فى وئام وصفاء ؟ انه لا يحس بضراوة الحرب الا الأسرى ، ولا يقدر الحرية الا من يسترق من البشر » .

وبعد :

فلقد أخرجت المطابع للأستاذ عطا كثيرا من الكتب وعديدا من الأبحاث والدراسات فى شتى الاتجاهات ، كان فيها على نصيب كبير من التوفيق .

ولكن قصص الأستاذ عطا قد أثبتت بوضوح أن مجاله الذى لا ينبغى أن تكون عنه حيدة ، هو المجال القصصى .

على أن يظل معنا .. ولا يتركنا الى التاريخ .

« عبد الصبور مرزوق »

كتب جديدة

يقدمها: أحمد عبد الصمد دياب

الجغرافيا السياسية لافريقية

تاليف : د . فليب رفلة

الناشر : مكتبة الوعى العربى

الكتاب ٦٠٠ صفحة من القطع الكبير ، وهو دراسة شاملة للدول الافريقية سياسيا واقتصاديا وطبيعيا ، وأشرف على هذه الدراسة الدكتور عز الدين فريد عميد معهد الدراسات الافريقية سابقا .

قسم المؤلف الكتاب الى قسمين كبيرين :

فى الباب الأول خمسة فصول ، وهو دراسة عامة للقارة ، تناولت كشف القارة ، وظروفها السياسية ، وبيئتها الطبيعية ، وسكانها ، والدراسة الاقتصادية لهـــا .

والباب الثانى خاص بدراســـة الدول من حيث الجغرافية السياسية والطبيعية والاقتصادية لكل دولة ، وفى خاتمة الكتاب دراسة عن الاستعمار فى أفريقيا والمنازعات بين الدول من أجلها ، ثم حصر شامل للجزر الافريقية .

***

• **مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية**

تاليف : الدكتور جلال يحيى

الناشر : منشأة المعارف ـ الاسكندرية

يقع الكتاب فى زهاء ثلاثمـــائة صفحة من القطع الكبير .

المشكلة الفلسطينية من أعوص المشكلات كما يقول المؤلف ، وتعتبر قضية من أشهر القضايا التى رآها التاريخ فى العصر الحديث ، وهى مشـــكلة انسانية قبل كل شئ .

والكتاب فى فصـــوله الاثنى عشر الأطمــــاع الاستعمارية فى فلسطين وفلسطين وتسويات الحرب العالمية الأولى ، والعرب والانتداب ، وضعف المعسكر العربى وانقسامه ، وكفاح العرب ضد الصهيونية ، وبدء الكفاح ضد بريطانيا ، والثورة والأمم المتحدة والتقسيم ، والحرب والهدنة ، واسرائيل والعـــرب ، ومشروعات المياه ، ثم اسرائيل والمشكلات الدولية .

***

• **الأعلام الشرقية**

فى المائة الرابعة عشرة الهجرية .

تاليف : زكريا محمد مجاهد

الناشر : مكتبة مجاهد بالأزهر .

هذا الكتاب هو الجزء الرابع من السلسلة التى يخرجها المؤلف وهو من معاجم الأعلام ، وهى تشغل فراغا كان فى المكتبة العربية عن هذا القرن الرابع عشر بعد أن ظهرت معاجم الأعلام فى القرون السابقة فهو بهذا الوضع مكمل لها .

وقد تناول فيه بالترجمة للأعلام فى الأدب والعلم والطب والتصوف وســـائر الفنون فى جميـــع بلاد الشرق وهذا الجزء اختص بالكتاب والشعراء والرحالة والمؤرخين وقد ترجم ل ٣٣٥ علما منهم .

ويقع فى ٢٨٠ صفحة من القطع الكبير .

***

• **مواقع النجوم**

ومطالع أهلة الاسرار والعلوم

تاليف : ابن العربى

الناشر : مكتبة صبيح

هذا الكتاب العلم من أعلام الفكر الاسلامى ومن علماء القرن السادس الهجرى ، واسمه ومكانته فى

غنى عن التعريف والكتاب فى أدب السلوك التصوفى وقد قسمه المؤلف الى مراتب ثلاث ، فالمرتبة الأولى فى توفيق العناية والمرتبة الثانية فى علم الهداية وهى علم التحقيق والمرتبة الثالثة فى الولاية ، وهى العمل الموصل الى مقام الصديق وهو الذى يرفـع الكلم الطيب الى المستوى الأعلى ٠

والحق أن آراء ابن العربى فى التصوف فى حاجة الى ذهن صاف ، وعقلية خصبة وفكر ثاقب ، ولذلك تعتبر معظم مؤلفاته للخاصة بل لخاصة الخاصة ٠

ويقع الكتاب فى ١٩٢ صفحة من القطع المتوسط ٠

***

• **رجال من افريقية**

تاليف : عبد بدوى

تقديم : حبيب جاماتى

الناشر : الدار القومية

الكتاب يقع فى ١٠٠ صفحة من القطع الـكبير ، والاستاذ عبده بدوى المؤلف - كما يقول الاستاذ جاماتى - يضع بكتابه هذا بين يدى القارىء سلسلة من اللوحات ، رسم فيها مجموعة من الشخصيات الافريقية بالشعر المنثور أو النثر الشعرى واختار تلك الشخصيات من مختلف البلدان والعصور قديما وحديثا ، فجعلها تنطق بلسانه وتعبر عن مشاعرها بقلمه ٠

من هذه الشخصيات :

ليوبولد سيد أرسنغور رئيس جمهورية السنغال ، ووليم يتمان رئيس جمهورية ليبيريا كواحد من الذين ذوبوا المتناقضات فى بلده ، ونيلسـون مانديلا من خلال عذاب المواطنين ، فى جنوبى أفريقيا ، وكينيث كواندا رئيس وزراء زامبيا كرمز على الاصرار الذى يوصل دائما الى الغاية ٠

وبالاضافة الى الوجود المألوفة قدم المؤلف وجوها قديمة لها فى الكفاح ضد الاستعمـار ماض مجيد ومواقف بطولية ، وتضحيات من أجل حرية شعوبهم وحرياتها ٠

والحق أن المهمة التى قام بها الزميل المؤلف شاقة مضنية فالمراجع عن أفريقيا وزعمائهـا لم تزل من القلة بمكان ، وقد ألقى اضواء على شخصيات أفريقيا كشفت عما توافر لهـا من عناصر العظمة والبطولة وفى مقدمتها الملك تخاو وعمر مكرم وحميد المرجبى، ورابح فضل الله من الوجوه القديمة التى قدمهـا كدليـل على أن التربة الافريقية كانت تبحث فى الماضى عن التلاقى فى القارة وكانت تقف فى صلابة بالسيف والكلمة فى وجه الدخلاء على أفريقيا سواء كانوا من الاوربيين أم من غير الاوربيين ٠

***

• **المشكل من شعر المتنبى**

تاليف : ابن سيده

تحقيق الاستاذين :

مصطفى السقا والدكتور حامد عبد المجيد

هذا الكتاب من التراث العربى القديم للعلامة أبى الحسن على بن اسماعيل النحوى اللغوى الأندلسى المعروف بابن سيده المتوفى عام ٤٥٨ هـ يعالج فيه مؤلفه جميع المشكل من شعر المتنبى ومـا أكثر مشكلات شعر المتنبى ٠

ولهذا الكتـاب أهمية عظيمة من ناحيـة مؤلفه باعتباره صاحب أكبر معجمين فى اللغة العربية : المخصص والمحكم ، ومن ناحية مادته اذ انه يعد آخر الكتب التى عرضت لشعر المتنبى فى لغته ومعانيه بنوع خاص ، وهو بهذا الاعتبار يعد من أهم المراجع للأدباء والنقاد والباحثين فى تاريخ الأدب ٠

***

هذا وقد أتم المحققان تحقيق الكتاب ليصدر خلال الأيام القادمة ان شاء الله ٠

« **احمد الصادق عبد الصمد** »

قراءات في المجلات العربية

يقدمه: محمد العواني



● **حول ندوة فلسطين**

في هذا الاسبوع اقيمت بجامعة القاهرة ندوة عالمية دعا اليها اتحاد الطلبة الفلسطينيين • وتناولت تلك القضية التي اصبحت اليوم تشغل الراي العام العالمي ، ويقف الى جوارها كثير من القوى التي تساندها وتدعمها كمجموعة دول عدم الانحياز وغيرها من الدول في العالم .

وتعتبر هذه الندوة من اهم الندوات منذ انشاء اسرائيل الى اليوم فقد اهتمت بما دار فيها صحفنا ومجلاتنا ونشير هنا الى أهم ما جاء في هذه الجلسات التي حضرها الكثير من الشباب والمفكرين في العالم والقوا بحوثا على جانب كبير من الأهمية . فقد القى الدكتور سيد نوفل في يوم الندوة الثالث بحثا عن « فلسطين في الامم المتحدة » قال فيه : ان القوى الاستعمارية التي خلقت اسرائيل تعمل جاهدة على اضعاف الامم المتحدة، فقد وقعت اسرائيل بروتوكول لوزان متعهدة بتنفيذ قرار الامم المتحدة بعودة عرب فلسطين الى ارضهم ودخلت اسرائيل تبعا لهذا في عضوية الامم المتحدة في اليوم التالي لتوقيع الاتفاقية، ولكنها تنكرت لتوقيعها واحتلت المزيد من الاراضي العربية ولم تحاول الامم المتحدة ازاء تصرف اسرائيل - ان تتدخل او تحرمها من شرف العضوية والانتساب اليها •

وتحدث باسم الاتحاد الوطني للقوى الشعبية بالمغرب السيد المهدي بن بركة الذي خصص بحثه عن «اسرائيل في افريقيا» فاكد ان دور اسرائيل في افريقيا ذو شقين .

الاول مخطط استعماري ضد الثورة العربية • والثاني مخطط قام لتنفيذ مطامع الاستعمار العالمي المشروط واللانهائي من اجل تحرير فلسطين .

ولهذا فان اسرائيل تعتبر دورها في افريقيا دورا حيويا ورئيسيا ،ثم كشف حقيقة الوجه الاستعماري لاسرائيل في افريقيا بقوله : لقد اريد لها ان تكون بالنسبة لدول افريقيا النموذج المثالي للدولة التي تمنح الخبرة والمساعدات والمنح للدول المتخلفة والنامية التي تواجه مشكلات مابعد الاستقلال ومما ساقه الباحث من الادلة على نشاط اسرائيل في افريقيا انه يوجد فيها الآن ٦١٦٥ طالبا من مختلف دول العالم يتعلمون تحت نظام المنح الدراسية الاسرائيلية من بينهم ٣٤٣١ طالباافريقيا يمثلون ٣٦ دولة افريقية ثم يقول :

وكان للجهود العربية المتواصلة المتضامنة مع زعماء افريقيا المتحررين اثر في وقف هذه الحركة الاستعمارية بتلك القارة اذ حدث في ١٩٥٦ ان قدمت اسرائيل لغانا أول قرض تقدر قيمته بـ ٢٠ مليون دولار ٠٠ ولكننا اليوم نجد ان دور اسرائيل قد انتهى في غانا .

وكانت ندوة السبت ١٩٦٥/٤/٣ من اهم الندوات الحاسمة في المؤتمر، فقد احتدم فيها نقاش عنيف دار حول استعادة العرب لفلسطين ، وازداد النقاش حدة عندما اعلن انتوني ناتنج الوزير البريطاني السابق ان قضية فلسطين لا تحلها الحرب ، لان اسرائيل بدات تصفي نفسها تدريجيا، وانه يمكن حل القضية بالطرق السلمية ، والقى اللوم على العرب لتقصيرهم في شرح قضيتهم .وقد رد على ناتنج الصحفي الفرنسي بيرروس قائلا :

ان على العرب الا يعتمدوا على الغرب الذى يسيطر على الصهيونية ، والا يهتموا براى الغرب فيهم ، وعليهم ان يفرضوا على الغرب آراءهم ، لأن قضيتهم لن تحل الا عن طريقهم هم انفسهم ، وان الحل الوحيد لهذه القضية هو القضاء على اسرائيل بالحرب .

ثم تقف الكاتبة البريطانية «ايثيل مانين» ترد على «نانتنج» فتبين ان هناك اسئلة اثيرت عن امكان وجود تسوية سلمية لاقامة فلسطين والحقيقة انه لاتوجد اية تسوية سلمية فقد مرت سنوات كثيرة ونحن ننتظر عودة الذين طردوا من ديارهم منذعام ١٩٤٨ . وتقول «مانين» انها لا توافق نانتنج فى قوله ان الحرب لاتحل المشاكل .. اذ الحرب حلت وستحل مشاكل كثيرة واسرائيل قد اقامتها الحرب واننى لا اعرف حلا آخر غير الحرب ، ولكنى لاأستطيع ان احدد متى سيكون حمل السلاح فى هذه المنطقة .

وقد ردت على دعوى نانتنج بان اليهود لايسيطرون على بريطانيا بقولها : انهم يسيطرون على بريطانيا كما يسيطرون على امريكا ، وهذا هو سبب عدم سماع وجهة نظر العرب ، واضافت «مانين» الى ذلك قائلة : انه يكفى للدلالة على سيطرة اليهود على بريطانيا أن بعض وزرائها من اليهود ، وهذا ييسر لهم دائما السيطرة على الصحف والبرلمان البريطانى ، كما اعلنت ايضا انها فشلت فى نشر مقالة عن فلسطين فى المانيا الغربية واخبرها الناشر بانه لن يجرؤ على نشر هذا المقال ، وتمضى الكاتبة البريطانية فى حديثها فتقول : « اننا اصدقاء العرب فى الغرب نواجه مشاكل كثيرة وقد بدأت ادرك أن الغرب لم يعد يهتم بشىء بالنسبة لقضية العرب» وتمنت مانين فى ختام حديثها «قيام الدولة الموحدة كطريقة لاسترداد فلسطين» .

وعقب الدكتور برهان الدجانى على كلام الوزير البريطانى قائلا أن نانتنج عبر تعبيرا صادقا عن السياسة البريطانية التى اتبعتها بريطانيا فى فلسطين ، فقد كانت تعد العرب وتطلب منهم الصبر وتعطى لليهود بطريقةعملية مايساعدهم على تقوية مركزهم ، «ونانتنج» — اذ يشير علينا بعدم الحرب — هل يضمن لنا انه سيمنع اسرائيل من العدوان علينا .. ان مايطلبه «نانتنج» هو ان نتوقف عن الرقى ، ونقف عمليات التنمية لكى نبقى متخلفين ، ثم نترك جيوشنا ضعيفة حتى اذا ضربتنا اسرائيل قال الغرب لنا : ماذا نفعل لكم. انكم ضعفاء

ويقف بعد ذلك «كريشنامينون» وزير الدفاع الهندى السابق فيعلن « ان بريطانيا تقع عليها مسئولية كبرى فى مشكلة فلسطين فلولا وعد بلفور ووجود الانتداب البريطانى فى فلسطين ماقامت دولة اسرائيل» فقد كان استخدام القوة بواسطة الشعب الذى وطنه الانتداب وفرض عليه حمايته هو سبب هذه المأساة ، لانه ماكاد الانتداب ينتهى فى فلسطين حتى بدأت المذابح التى قام بها اليهود ضد العرب، امابالنسبة للاجئين الفلسطينيين فيقول عنهم «مينون» انهم طردوا من ديارهم ولم يهربوا كما حاول البعض ان يصوروهم ثم قال اننى اعتقد اننا هنا نتناول مشكلة خاصة بالكرامة الانسانية فان ماحدث فى فلسطين هو ان شعبا فرض على ارض بعد ان طرد منها اصحابها ، ويضيف الى ذلك قوله : ان دور اسرائيل قد برز عندما انضمت الى بريطانيا وفرنسا فى الهجوم على مصر ، هذا الهجوم الذى شكل جزءا من مؤامرة طويلة دبرها المستعمرون لاستعادة الامبراطورية .

وبدأت جلسة اليوم الرابع بكلمة القاها ممثل طلبة فيتنام الشمالية جاء فيها انه باسم طلبة وشعب فيتنام يعلن تأييده الكامل لشعب فلسطين الجريح الذى سلبته العصابات الصهيونية — بمساعدة الاستعمار الامريكى — ارضه ووطنه وتركته مشردا بلا مأوى ، وقال : ان كفاح اخواننا الفلسطينيين كفاح مشروع وضرورى ، من اجل استعادة حقوقهم المشروعة واسترداد وطنهم السليب . وتحدث بعد ذلك الكاتب الامريكى «نيفيرباربر» الذى طالب فى خطابه بقيام حكومة مؤقتة فى فلسطين تنبثق عن منظمة التحرير الفلسطينية لتعمل على تصوير الشعب الفلسطينى امام العالم بانه الشعب الحقيقى الذى يعانى الظلم ، وليس الشعب اليهودى كما يحاول اليهود أن يوهموا الناس فى الغرب .

ثم تحدث ممثل اتحاد طلاب اندونيسيا فقال : اننا طالما انتظرنا مثل هذا الاجتماع الذى يضم الاحرار فى مختلف ارجاء العالم للتعرف على قضية الشعب الفلسطينى والوقوف معه ضد الصهيونية والامبريالية والاستعمار ، ثم أعلن أن اندونيسيا ترفض دائما انشاء أى علاقة مع اسرائيل وترفض حضورها الى أى مؤتمر يعقد على أرضها .

ولعلنا نستطيع ان نعود الى النتائج التى اسفرت عنها جلسات هذه الندوة فيما بعد .

«محمد العوانى»

قصة قصيرة

أصوات على الشجر

بقلم نجيبة العسال

عندما أنذر باخلاء دكانه الصغير دارت الدنيا به ووقف حائرا يتلفت حوله لا يدرى ماذا يفعل .. فهولم يخطر بباله قط فى يوم من الايام ان يترك دكانه ولم يدر بخلده ان يطلب منه احد ان يغادر هذا المكان .. لقد نسى منذ زمن طويل ان يستاجر هذا الدكان .. حتى الايجار كان يحس وهو يدفعه كانه شئ عادى من مطالبه العادية وليس ايجارا لمكان لايملكه اومن الممكن ان يكون ملكالغيره ..

عشرون عاما مضت وهو فى دكانه هذا لم يغادره يوما ولم يبتعد عنه اطلاقا فكيف يتركه الآن ..؟ أيبتعد عن كل هذا فى لحظة واحدة .. ؟ وراحت عيناه تحسان الجدران شبه المتهالكة التى تنضح بالرطوبة بنظرة ملؤها العطف وفاضت نفسه حنانا .. تلك الجدران التى اصبحت وكأنها قطعة منه وكذلك الأرض التى يدوس عليها .. كأقدامه تماما .. وتنهد الأسطى رجب وهو يغالب فيض الحنان قبل ان يغدو دموعا .. سيهدمون البيت القديم ليشيدوا عمارة كبيرة مكانه فماذا يفعل هو .. ؟ .. أين يذهب بعد كل هذه الأعوام الطويلة .. واشياؤه العتيقة اين يذهب بها .. بنك النجارة الذى تآكلت أركانه والمقراة السوداء فى مكانها الدائم على الطوار ..الفاره العجوز والشاكوش الضخم وكل ما يملك من ادوات النجارة.. اين يذهب بها .. ؟الى دكان جديد .. ؟ فى حى اخر جديد .. ؟ ولم يستطع الاسطى رجب حبس دموعه أكثر من هذا .. دكان جديد فى حى جديد .. وهل تصلح فى الدكان الجديد تلك الأشياء القديمة .. ؟ ابدا .. سيطلبون منه استخراج رخصة جديدة بمواصفات جديدة .. لن تصلح تلك الأشياء القديمة .. وهو .. هو هل يصلح هو الاخر للدكان الجديد .. ؟ وابتسم ساخرا من دموعه أيضا اصبح مثل تلك الأشياء القديمة العتيقة بعد ان ودع أعوامه الأربعين منذ سنوات قليلة .. أيصلح وهو فى هذا العمر لمعاملة زبائن جدد .. ؟ وهل يعامله الجدد كما يعامله الآن كل زبائنه القدامى .. ؟ ان القدامى يعرفونه جيدا .. يعرفونه منذ كان شابا قويا يخترق صوته الجهورى سكون الشارع وتدق اقدامه الأرض فى نشاط ليلبى كل ما يطلب منه من اعمال سريعة وصبيه الصغير يهرول وراءه حاملا صندوق العدة .. الكل يثقون فيه ويلجأون اليه .. بل ينتظرونه أكثر الأحيان ان كان مشغولا دون أن يستبدلوه باخر .. كم كان يسعده هذا .. لكنه لم يشغله اطلاقا .. فلم يحدث ابدا ان تظاهر بانه مشغول دون أن يكون مشغولا فعلا .. وزبائنه من سكان الحى الأصليين .. عاش بينهم سعيدا راضيا .. قانعا بما تدره عليه اعمالهم الصغيرة .. اين يذهب ويتركهم فى حيهم دكان واحد يصلح لسكناه .. ولابد من الانتقال الى حى آخر وتنهد الأسطى رجب واصابعه تنقر على حافة البنك المتداعى .. انه لم يكن يظن ان الحياة ستتوقف هكذا فجأة .. لم يضع فى حسبانه ابدا ان هذا سيحدث يوما .. ولكن .. ودرات الدنيا به أكثر.. وحتى لو ذهب الى حى آخر وعثر على دكان آخر ووجد زبائن جدد فمن اين له بمطالب الدكان الجديد .. ؟ انه لا يملك شيئا البتة فرزقه طول عمره .. يوم .. بيوم .. لم يتعود الادخار ولم يفكر يوما فى أن يقتر على زوجته .. انصاف نعم الصاف، واحس بقلبه ينعصر فى جوفه ، انها حبيبته التى ظل سنوات طويلة يسعى للزواج منها .. فهى جميلة ورقيقة وبنت ناس طيبين ولها اقارب موظفون واثرياء ، ولكن والدها كان عاملا مثله .. كان الأسطى الذى تعلم النجارة على يديه وكان يعلم مقدار حبه لابنته ففضله على كل من تقدم لها .. فكيف كان يتسنى له ان يقتر عليها وعلى اولاده ، انه مقتنع تماما بانه لم يكن يوما مبذرا .. لكنه كان زوجا وفيا وابا حريصا على توفير كل مطالب اولاده .. ولكن ماذا يفعل الآن ، ماذا يفعل الآن واين يذهب .. ؟واحس بطاقة كبيرة من الضوء تفتح داخل نفسه ومعها الجواب السريع الحازم .. افعل كما فعل زملاؤك واصدقاؤك .. المصانع ..المصانع .. ورددها لنفسه بصوت مسموع .. وكررها مرة ثانية .. المصانع .. وهز راسه فى شدة وهو يتصور نفسه كان قيدا من الحديد قد التف حوله .. لا .. لا .. لن اكون مرؤوسا لاحد انى حر طوال حياتى .. لن أكون عاملا بعد ان كنت صاحب عمل .. لن أكون واحدا فى مجموعة كبيرة تؤدى عملا واحدا وتأتمر بامر واحد .. انى حر طليق وساظل طوال حياتى حرا طليقا لا أأتمر الا بامر نفسى ولا اطيع احدا غيرى ... وفى غمرة الانفعال والثورة ..ترك رجب حافة البنك وسحب كرسيه العتيق وجلس على الطوار واضعا ساقا فوق ساق ولم يلبث ان سرح ببصره بعيدا تجوس عيناه خلال الأشجار العالية التى امامه .. لقد تعودت عيناه رؤية تلك الأشجار داخل سور حديقة البيت الكبير..بيت عثمان بك ولكنه لم يحس من قبل بمقدار تآلفه معها مثلما يحس الآن .. هذه الأشجار العاليه .. كيف يتركها ويذهب بعيدا وهو الذى يحلو له دائما أن يرقبها خاصة ساعة الغروب .. كم يحبها فى تلك اللحظة وكم يعشق أصوات العصافير وهى تتجمع على فروعها .. ان زقزقتها وهى تتجمع وأصواتها الصادرة فى نغمة واحدة تأسره وتظل ترن فى

الاثيه بالحانها الوحدة حتى بعد أن تهدأ ويلتئم شملها وتخلد الى الراحة بعد يوم ملئ بالتحليق في الفضاء ..وكثيرا ما كانت تتملكه رغبة جارفة كي يذهب الى دكانه في الصباح الباكر وكان دائما يكتشف بعد فتح الدكان وجلوسه على الطوار وبعد ان يشرد مع نغمات العصافير ان هذه الرغبة لم تتملكه الا شوقا لسماع هذه الأصوات الموحدة وهي تملأ الفضاء الندى في باكورته المشعة بحنان الصباح .. وتزيده حنانا ويحس بنفسه أيضا وكأنها تذوب وتتلاشى في هذا الحنان الشع المتبخر في الفضاء .. ورجع الأسطى رجب الى نفسه وفاض قلبه حنانا وأسى حتى



تجمعت الدموع في عينيه ايترك كل هذا ويصبح محكوما لا يستطيع ان يخلو الى نفسه دقائق مثل تلك التي يذوب فيها مع العصافير في الفضاء .. ؟.. وترك الأسطى رجب مقعده العتيق في الحال الى داخل الدكان حتى لا يرى المارة دموعه واشتدت اصابعه في عصبية تقبض على اركان البنك المتداعي وهو يدق بقدمه الارض وسرعان ما غادر دكانه الصغير ليذهب الى بيته ويستلقي على فراشه دون ان ينطق بكلمة لأحد .. ماذا يقول لانصاف .. هل يقول لها انه اصبح بلا دكان..انه لا يدرى من اين ينفق عليها وعلى اولاده بعد اليوم .. هل يقول ان مكانه .. ضاع وانتهى .. أبات وغدا بلا مأوى .. ماذا يقول لاهله واصدقائه وجيرانه .. ايقول انه لا يملك ما يمكنه من فتح دكان جديد .. سيتبارون جميعا في اقراضه مايمكنه من ذلك .. وانصاف.. ؟ هل ستترك لأحد ان يقوم بذلك .. ابدا انها ستسرع ببيع مصاغها في الحال لاستئجار الدكان الجديد .. لكنه لن يرضى بهذا ولا بذاك .. ولزم رجب فراشه اياما طويله مريضا يظن ان لا احد يعرف سر مرضه .. ولكن كل من حوله كانوا يعرفون سر مرضه ويحترمون هذا السر .. يعرفون مقدار عذابه ومعاناته فهو معروف للجميع بالحرص على كرامته وكبريائه ولكن احدا البتة لم يكن يفطن الى مقدار تآلفه مع الاشجار العالية وسكانها الوافدين اليها ساعة الغروب المغردين عليها ساعة الشروق .. واستسلم رجب لفراشه لا يود ان يغادره .

وكان الفراش ملاذه الوحيد ومخرجه من تلك الحيرة والضياع .. لقد امتزج في نفسه حرصه على ان يظل حرا طليقا مع كل ارتباطاته الماضية فهو تارة يستسلم لصورته بين زبائنه وشروطه معهم واعجابه بدقة اصابعه عندما يقوم بعمل فيه فنية ويتطلب الاتقان وتارة في وقفته الصلبة داخل دكانه وصرخته في عماله وطاعتهم له وتارة اخرى مع تلك الصور التي تتراءى له دائما ولا تتركه ابدا .. البيت الكبير وسوره العتيق واقامة المقعد الحجري الذي يربض عليه دائما .. عم عبده البواب بقامته المديدة وشيخوخته الوقور على وجهه اللامع الناطق بالصحة والحيوية رغم الكبر في نظرة عم عبده الشامخة واحساسه الدائم بانه كان ابن ناس ومن عائلة كريمة كانت تجاور أرضها أرض صاحب البيت الكبير لولا اسراف والده لكان اليوم مثل اصحاب البيت تماما لكنه الزمن كل منا له دوره ..وهو .. هو رجب .. هل سيأتي عليه اليوم الذي يقول فيه .. كنت صاحب عمل واصبحت عاملا .. ويتقلب في فراشه وينظر من بعيد عبر النافذة بعد أن مالت الشمس للمغيب .. لقد بدأت العصافير الآن في العودة الى فروع الاشجار العالية..ويسرح بعينيه في سقف الحجرة الساكن ليعيش مع العصافير في تجمعها ساعة الغروب . ان الحانها لا تغادر أذنيه اطلاقا ..

وتأتيه من بعيد أصوات الاولاد في الشارع ويستسلم لصورة أخرى .. صورة كانت تسعده دائما بقدر ما تشقيه..الاولاد الصغار وهم يلعبون ساعة العصر أمام باب دكانه وعراكه الدائم معهم عندما تصطدم الكرة بجسده واشيائه المعلقة .. انه يأخذها ويحرمهم لحظات من أجمل لعبة في حياة الصبية والفتيان ولكنه لم يكن يحتمل ابدا رجاءهم له فيفرج عن الكرة بعد لحظات وهو سعيد وكأنه قد عاد صبيا من جديد ..وكثيرا ما كان يشوطها هو بعد أن يفرج عنها .. أين كل هذا .. ذهب ولن يعود .. لن يعود .. وطلب من اصدقائه أن ينقلوا اشياءه القديمة القليلة الى منزله .. كيف يذهب الى دكانه .. انه لا يستطيع ابدا ان يرى أيامه الماضية وهي تذهب عنه .. أيام شبابه وقوته وفتوته..أما ايامه القادمة فهو لا يعرف عنها شيئا .. ولا يود أن يعرف شيئا أيضا .. فيكفيه ما هو فيه الآن .. ومرت الايام فاترة باردة كئيبة . وفي يوم..انتبه رجب لنفسه وبدأ يعود لحاضره ونظر حوله .. ان اطفاله لم يعودوا كما كانوا انهم ليسوا اولاده الذين

يعرفهم تماما .. ان الصفرة هي السمة الواضحة على محاجر .. و .. الحيرة .. والذلة .. الذلة ؟.. أيذل اولاده وهو على قيد الحياة ؟ لا..لا..واصاف ؟ اصاف ؟.. حبيبته الرقيقة التي كانت تضج بالحياة والحب مالها .. هكذا .. انها شاحبة .. حزينة نحيلة تنظر اليه بعينين صامتتين مبتهلتين ترجوان وتتوسلان . وانتفض واقفا يتفقد بيته الخاوي ويتفقد أيضا ساعدي اصاف .. ساعداها لم يعودا يلمعان من بعيد أو من قريب .. لقد خليا تماما من كل ما كان يزينهما .. وتبخر من خياله كل ماضيه .. واندثر داخل وجدانه وانطوى أمام حاضره.. لقد مرت شهور وهو طريح الفراش غائب عن الوجود .. وهاله ذلك الهروب كي ينتصل من واجبه .. ان أولاده وزوجته هم أعظم ما في الوجود .. انهم ماضيه وحاضره ومستقبله .. واستنجد بكل ما فيه من قوة نفسية لكي يشفى..لن يقف المرض عقبة في سبيل واجبه الأول..سيشفى..لابد أن يشفى .. ان الحياة أمامه تفتح ذراعيها لاستقباله وشعر بالعمر أمامه فسيحا مديدا .. لابد أن يعوض أولاده كل ما عانوه وهو بعيد عنهم .. لقد تأكد الاسطى رجب أنه كان في تلك الفترة بعيدا عن أولاده لانه لم يفكر فيهم ولا في حبيبتهم الغالية وحبيبته اصاف .. انه لم يفكر الا في نفسه فقط وفي كيانه وحده وأحس بأنه غير جدير حتى بأولاده ما دام قد فصل نفسه عنهم .. تذكر رغما عنه تجمعات العصافير ساعة الغروب وأصواتها الموحدة المغردة في نغمة واحدة وأحس انه كان يراقبها فقط لكنه لم يتعلم منها ولم يفطن الى حقيقة الجمال المشحون في الحانها .. ان هذا نابع من النغمة الواحدة والتكتل الكامل في اخراج النغم الى الوجود .. كيف يزعم اخلاصه لماضي وجدانه وهو بعيد كل البعد عن حقيقة المصدر الذي أيقظ هذا الوجدان وأسره .. سيدين من الآن لماضيه ويتعلم منه .. سيثبت منذ الآن أنه فعلا قد أخذ درسا طويلا نافعا من أحياء كانوا يهبون له السعادة الكاملة طوال عشرين عاما .. انها العصافير المغردة في أصواتها الموحدة على الاشجار العالية .. وانطلق الاسطى رجب في عزم واصرار مع الاقدام الزاحفة في ثبات وقوة وايمان .. الاقدام التي عرفت طريقها وعرفت نداء .. ومعنى خطواتها الواحدة في طريق صاعد الى الامام .. والامام دائما .. وهناك في أحد مصانعنا الكبيرة الجديدة .. كان يسري طيف من الحنان في ملامح الاسطى رجب وهو يتذكر عم عبده البواب والسور العتيق بجدران دكانه الصغير التي تنضح بالرطوبة والبنك المتداعي وكل أشيائه العتيقة بما فيها المكواة السوداء على الطوار وترن في أذنيه أصوات العصافير على الشجر فيعود ببصره في الحال لتلتقي عيناه بتلك الجباه العريضة المندأة بالعرق التي تستقر نظراتها على السواعد القوية وهي تحرك الماكينات الضخمة اذ تصطك في أذنيه أصواتها الهادرة الصاعدة الى السماء في نغمة واحدة موحدة بقوة هائلة .. تزيد من عزمه واصراره وتوقظ في نفسه احساسا بالكيان الكلي..وتتوقف عيناه طويلا على كل الأيدي المتعاونة مع يده .. ويشعر بالقلوب المتعانقة مع قلبه والآمال المتحدة مع آماله فتشرق ابتسامة فتية متفائلة تملأنفسه وتظل معه حتى يعود مع الغروب .. الطريق ممتدة أمامه وكل الصبية والفتيان الذين يلقاهم في طريقه يبتسمون له أولئك الذين كانوا يعاكسونه بالأمس بالكرة وكل الناس الطيبين يمثلون له عم عبده وكل الاشجار العالية تمائله وكل العصافير المتجمعة على الاشجار تغرد أصواتها فرحة لمقدمه وتتصاعد الحانها تزفه وتحنو عليه فقد أصبح صوته في الحياة واحدا من أصواتها يحلق معها عاليا . فوق الشجر .

. تحية العال .

مع فنان

تقديم

فاروق حافظ عمر

دعائم فن مختار

في ريعان العمر وازدهار الأمل وفي اقبال النجاح والمجد يخرج مختار من هذه الدنيا بما فيها من أمل ومن نجاح ومن مجد .

فلقد كان يوم السبت ٢٧ مارس ١٩٦٥ هو ذكرى وفاة (مختار) المثال الأول في العصر الحديث والذي عبر في اعماله عن روح بلده وتراثه ومقومات خلوده وهي جميعا تلف في ثناياها سر هذه التربة الخالدة منذ توقف الفن المصري القديم صاحب اقدم حضارة عالميــة والتي وصل فيها النحت الى أرقى القيم الفنية وبظهور مختار عاد فن النحت ثانيا الى مصر في نمط جديد معتزا بنفسه واصالته العريق ليساير فن النحت في جميع البلاد .

واذا رأيت أعمال مختار لسترى فيها القيم الثابتة.فلقد بدأ اعماله الأولى في ظل استاذه الفرنسي (جيوم لابلاني) الذي علمه قواعد النحت الكلاسيكي وفق المذهب الاغريقي الروماني في الفن وعندما سافر الى باريس تتلمذ على يد أساتذته (كوتان) و (مرسيـه) وهضم مختار بتابع الاتجاهات الحديثة . ففي تماثيله (لقية وادى الملوك) و (كاتمة الأسرار) عبر عن التراث الفرعوني الذي ساد اكتشاف آثاره في مصر زهوا في ذلك الوقت ووجد في الفلاحة المصرية صورة رائعة للنحت فعبر من خلالها عن مشاعر الحب والفرح والحزن والراحة وكلها من خامات بلاده مثل الجرانيت والبازلت والحجر حتى منحوتاته الصغيرة لا تقل روعة وتعبيرا عن اعماله الكبيرة وفي اعمــاله (القيلولة) و (الخماسين) و (الحزن) و (حاملات الجرار) نرى قيما عالية تشترك مع الماضي في صفاته الثابتة المستمدة من الطبيعة المصرية وكذلك نرى تماثيل الاشخاص في فن مختار على نفس النهج من التطور فبعد التسجيل الواقعي والتفاصيل العابرة التي تبدو في أعمال المرحلة الأولى نراه يوغل في أعماق الشخصية وكأنه ينحت ملامحها من الداخل وينقلها من صورتها الفانية الى حقيقتها الخالدة في عالم النحت .



« راس فتاة مصرية »



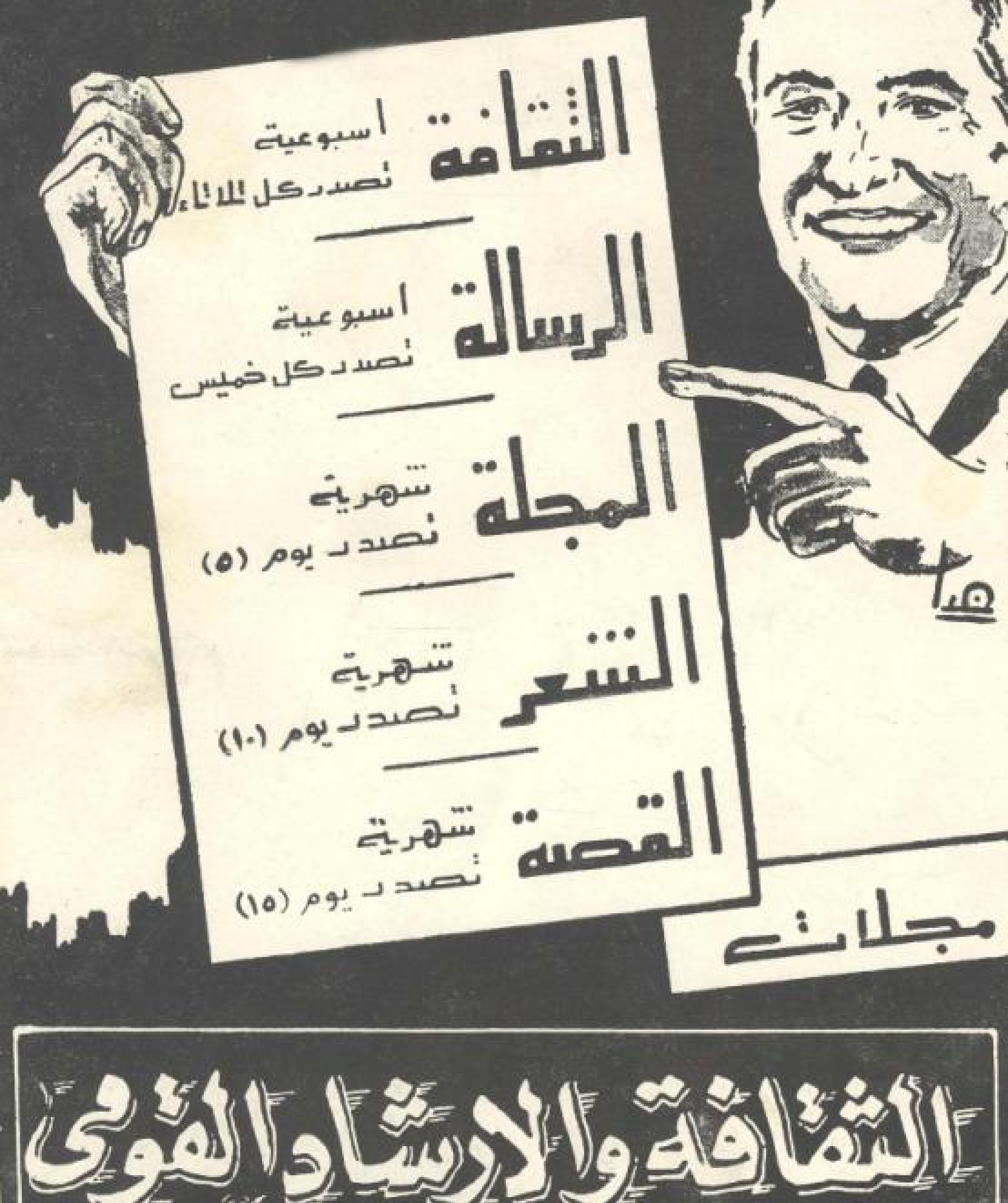
« الواحة »



« ابن البلد »

سطور من حياة مختار

- ولد في ١٠ مايو ١٨٩١ ببلدة طنبارة من قرى المحلة الكبرى وكان ابوه الشيخ ابراهيم العيسوي عمدة هذه القرية ثم هاجرها الى قرية (نشا) من قرى المنصورة وهناك بدأت معالم مواهبه الفنية تتفتح ورحل الى القاهرة .
- التحق بمدرسة الفنون الجميلة سنة ١٩٠٨ ، ثم سافر الى باريس ١٩١١ .
- عرض نموذج تمثاله (نهضـة مصر) بمعرض الفنانين الفرنسيين سنة ١٩٢٠ ، ونال عليه شهادة شرف من المعرض .
- دعا بعض المفكرين الى اقامة تمثال (نهضة مصر) في احد ميادين القاهرة ونظم اكتتاب شعبي لاقامة التمثال ساهمت فيه الحكومة .
- انتهى من اقامة تمثال (نهضة مصر) سنة ١٩٢٨ .
- ساهم في هذه الأثناء في تنظيم الحركة الفنية وانشاء مدرسة الفنون الجميلة العليا وايفاد البعوث الفنية للخارج فضلا عن اشتراكه في عدة معارض خارجيــة باعمال لقيت النجاح .
- اقام معرضا خاصا في باريس سنة١٩٣٠ وبفضل هذا المعرض عرفت المدرسة المصرية الحديثة في الفن وسجلت ميلادها امام النقد الفني في العالم .
- اقام تمثال سعد زغلول في الفترة بين (١٩٣٠ - ١٩٣٢) .
- توفي في ٢٧ مارس ١٩٣٤ .



الدار القومية للطباعة والنشر

العدد ٩٠

الثمن ٣